



مطبوعات كتابي



قاتل بيراجر!

أحدث ما كتب الأديب العالمي المعاصر
أوجين يونسكو

أوجين يونسكو
قاتل بلا أجر



TUEUR SANS GAGES
par
EUGENE IONESCO

الشمس ١٢ قرشا

مطبوعات

كنايت

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حلمى مراد



الكتاب السبعون

قاتل بلا أجر

ترجمة : الدكتور أنور لوقا

مدرس الأدب الفرنسى بكلية آداب عين شمس

الإدارة : عمارة الجندول - ١٤ شارع ٢٦ يوليو - بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦ ، ٤٦٤٧٥

مجموعة كتابى

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

• تطلب الأعداد السابقة من كل من المجموعتين من :

صدر منها ستة وتسعون كتابا ، يضاف اليها كتاب جديد فى اول كل شهر •

مطبوعات كتابى

(الترجمة الكاملة الأمانة لشوامخ الكتب العالمية)

صدر منها تسعة وستون كتابا ، ومجلدان خارج السلسلة يحتويان على الترجمة الكاملة لقصة « دكتور جيفاجو » ، وتطلب قائمة بأسماء الكتب جميعا من الادارة •

الاشتراكات

ادارة « كتابى » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة
• الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابى فى ج٠ع٠م والسودان والمملكة السعودية والأردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل ، وما عداها من البلاد العربية الأخرى والبلاد الأجنبية فالاشتراك السنوى ١٨٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل •
ولن شاء أن ترسل له الأعداد بالبريد الجوى المسجل ، أن يدفع فرق الرسوم •

• ترسل قيمة الأعداد والاشتراكات فى مصر باذن بريد عادى •
وللمشتركون فى البلاد الأخرى أن يرسلوا القيمة بشيك على احد بنوك القاهرة ، أو تحويلات مصرفية ، أو كوبونات بريد دولية فئة ٤٠ مليما ، على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر • علما بأن سعرها فى مصر ٣٧ مليما • ومن الممكن أن فى السودان ارسال القيمة بحوالة بريدية •

كيف نفهم مسرح يونسكو؟

مقدمة بقلم

الدكتور أنور لوقا

هذا كاتب يكره المسرح ، ويسخر منه ، ويناصبه العداء ، فيسجل تاريخ الأدب اسمه بين « أعلام المسرح المعاصر » ! والحق أن تاريخ الأدب لم يفتح أبوابه المنيرة لهذا الكاتب عن رضى واقتناع ، بل أنه هو الذى ظل يقرعها حتى اهتزت ، فاقترحها اقتحاما ، وسط هالة من الهرج والصبخ . . .

لقد أثار مسرح « أوجين يونسكو » ضجة كبرى ، بلفتنا أخيرا أصداؤها التى ترددت فى جميع أنحاء العالم المتحضر . وما زالت تتبارى فى تمثيل نصوصه الغريبة - وقد ترجمت الى مختلف اللغات - أهم الفرق المعروفة فى عواصم أوروبا وأمريكا . وتعلقت بأعمال « يونسكو » أنظار المشتغلين بالمسرح . ومعظمهم يتوسم فيها تجديدا خليقا بأن يبعث الحياة فى فن كاد يشمله الركود . ومهما اختلف النقاد فى تقدير « يونسكو » ، فلا جدال فى أنه أديب متحرر ، شديد الجرأة واسع الثقافة ، يتفهم - من ناحية - جوهر المسرح ومبادئه ، ويستوحى من ناحية أخرى ما آل إليه الإنسان فى أوضاع العالم الراهن .

من هنا نبدأ

ويعتز « أوجين يونسكو » بعمل له عاد الى الاهتمام به أكثر من مرة . أنها فكرة تلح عليه ، صاغها سنة ١٩٥٥ فى قالب قصة قصيرة جعل عنوانها « صورة الكولونيل

La Photo du Colonel « ، ونشرها في « المجلة الفرنسية الجديدة » ، ثم حولها الى مسرحية من ثلاثة فصول ، فرغ من تأليفها أثناء صيف سنة ١٩٥٧ في لندن ، وغير عنوانها الى « قاتل بلا أجر Tueur sans Gages » . وها هم ذا يصدر في باريس سنة ١٩٦٢ مجموعة من قصصه القصيرة في مجلد واحد ، فيضع على رأسها « صورة الكولونيل » ، ويحتفظ بـ « صورة الكولونيل » عنوانا للمجموعة كلها . ولا شك في أن هذا العمل الذي بدأ موجزا ، ونما شيئا فشيئا في عقل الفنان وقلبه ، وظل يلاحقه سبعة أعوام على الأقل ، عمل أثير ، ذو جذور عميقة ، ومكانة خاصة . ولعلنا نستطيع من خلال دراسته ، وتتبع دلالته الاصلية ، ان ندلف الى دنيا « يونسكو » ، وأن نتبين معانيها ، ووسائله في التعبير عنها .

لذلك نقلنا الى العربية مسرحية « قاتل بلا أجر » . وسنحاول ونحن نستعرضها في الصفحات التالية ان نتخذ منها مدخلا الى أدب « يونسكو » . لقد اشتهر هذا الأدب بالفموض والاغراب ، وتضاربت في تأويله الآراء ، أما « يونسكو » فثفسه فيزعم أن مسرحه « بسيط جدا ، سهل الفهم جدا ، منظور يدركه البصر ، بدائي ، صيغاني ، لا يتطلب الا التخصص من بعض العبادات الفكرية » . وفي الشطر الأخير من عبارته تكمن مشاكل هذا السهل « الممتنع » !

زعيم مغمور

ومسرح « يونسكو » الذي نتحدث عنه اليوم - بمناسبة تمثيل مسرحية « الكراسي » في « مسرح الجيب » - ليس وليد السنوات القليلة الماضية التي شهدت بزوغه العالمي

المباغت ، عندما أخرج « أوردسون ويلز » في لندن مسرحية « الخرثيت Rhinocéros » وأخرجها في باريس « جان لوى بارو » في سنة ١٩٦٠ - وقد نشبت يومئذ حول هذه المسرحية الناجحة معارك نقدية عنيفة - وإنما الواقع ان يونسكو يكتب للمسرح منذ سنة ١٩٥٠ ، ولكنه لم يحظ - قبل سنة ١٩٥٥ - باقبال الجمهور على تمثيلياته ، واختصام النقد في شأنها ، وتهافت الناشرين على كتبه ومقالاته !

وكانت مسرحيته الاولى - وعنوانها « المطربة الصلعاء La Cantatrice Chauve » - قد مثلت على خشبة مسرح متواضع بالحى اللاتينى في باريس ، أمام قاعة خالية من النظارة تقريبا . وباءت بنفس المصير مسرحياته القصيرة التالية . ذلك ان اذهان العامة - بل واذهان الخاصة أيضا - لم تكن مهياة بعد لقبول كل ما طلع به « يونسكو » من تجديد بدا اذ ذاك خطا واسرافا وعبثا ، لشدة خروجه على المألوف . غير أن « يونسكو » تبت لهذا الفشل تبات الفنان الصادق . وقدم المحاولة اثر المحاولة لفئة قليلة من الشباب انصرفت عن الأدب التقليدى ، والتفت حوله وحول زملائه من المجددين - ولا سيما « هنرى بيشيت » و « أرتور اداموف » و « سامويل بيكيت » - وهكذا نشأت الحركة المعروفة « بمسرح الطليعة » .

مع « يونسكو » في باريس

وأذكر « أوجين يونسكو » في هذا الطور . كنا نلفاه في تلك الندوات الصغيرة التى تلتئم على موعد أو غير موعد ، في صفوف مسارح « النوكتامبول » و « الهوشيت » ثم

« بابليون » ، وهى قاعات منزوية فى دروب الحى اللاتينى ، لا تكاد أبوابها تجتذب الداخلين ، رغم اللافتات التى تعلن عن تمثيل أكثر من مسرحية واحدة فى الليلة الواحدة ، وتطلق على ذلك اسم « مهرجان الطبيعة » . وكان يونسكو دائما هناك ، وهو - برأسه الأضلع ، وجبهته العريضة المفكرة ، وعينييه الجادتين ، وصوته الهادىء - صورة للمثقف المخلص الذى يبحث عن المعانى والقيم ، ويفتح الأفق واسعا للجدل . وكان وجهه المتسائل يحمل فى أكثر الأحيان علامات عناء دفين ، خلعا عليها كدح الذهن أو لارهاق السهر .

وأذكر أنه راح فى تلك الحقبة يستعين على العمل المثمر بتعاطى حبوب « جلوتاميك أسيد » التى شاع فى الصحف أنها تشحذ البديهة وتنبيه ملكات العقل . ولا بد أنه كان فى ذلك أيضا باحثا حسن النية - مثل بطله « بيرانجيه » - يريد أن يجرب تجربة جديدة ، وهو يقول لنا فى صراحة ساخرة : « هذا دواء يجلب العبقرية ! »

وبصفاته تلك التى جمعت جلد المثابرة ولذع التهكم ، وحب الاستزادة خلال الحياة وخلال السكتب من المعارف النفسية والفنية والانسانية ، كنا نحسب « يونسكو » واحدا منا معشر طلبة الدراسات العليا العاكفين فى « دار الكتب » بباريس على مراجع أبحاثنا ورسائلنا . لقد كان فى تلك الجلسات يقرأ بجد مؤلفات الأديب الهازل « الفريد جارى » الذى تحدى جمود المسرح فى آخر القرن الماضى . وقربنا من « يونسكو » أنه يتكلم مثلنا ويكتب فرنسية « مكتسبة » ، ليست لفتنا الأصلية ، وانما اتخذناها فى الحى اللاتينى والمدينة الجامعية عجلة مشتركة لأفكارنا وتعبيرا طيعا من ذوات أنفسنا .

ومن ندوة الى ندوة ، ومن مقال الى مقال ، ومن مسرحية الى مسرحية ، نمت تجارب « يونسكو » ، وتبلورت آراؤه ، واسترعت اهتمام المحترفين والهواة في فرنسا وفي مؤتمرات المسرح الدولية . ومالت « جرائده » الى الاعتدال ، في السنوات الأخيرة - عن قدرة وتمكن - فأصبح يسيعف فنه جمهور اكبر .

تطور « يونسكو » : من الهدم الى البناء

و « أوجين يونسكو » روماني الأصل . ولد بمدينة (سلاتينا) سنة ١٩١٢ . ودرس الآداب بجامعة بوخارست ، ثم اشتغل في بلاده بتدريس اللغة الفرنسية وبالنقد الأدبي . وكان قبل ذلك - في صدر شبابه - ينظم الشعر ، متأثرا بالشاعر البلجيكي « مترلينك » والشاعر الفرنسي « فرانسيس جام » والمدرسة السريالية . غير أنه اشتهر كناقد ، واتبع في مقالاته منهجا عقليا مستقلا ، استخدمه في تحليل العمل الفني تارة لمدحه وتمجيده ، وفي تحليل العمل الفني نفسه تارة أخرى لهدمه وذمه ، مما أغضب عليه كبار الأدباء والمثبيين لهم . وانهى الى بحث طريف نشره هناك في « تطابق الأضداد » . ثم نرح الى فرنسا سنة ١٩٣٨ ، حيث اتصل بالصحافة والثقافة ، وخاصة بمجلات المفكرين المتطلعين الى قيم جديدة .

ومنذ اتجه « يونسكو » الى المسرح ، تدل أعماله المتعاقبة - التي طبع معظمها أخيرا في أكثر من مجلدين - على نضج مطرد . لقد بدأ بمرحلة سلبية ، هاجم فيها قواعد المسرح المتبعة ، فحطم الشخصيات وفتتها - وكان عهدنا بها أنها ذات وحدة نفسية وخلائق متماسكة - وأهمل عنصر القصة ، وقلب منطق الواقع رأسا على عقب . وتلك مرحلة تمثيلاته

القضية القريبة : « المطربة الصلحاء » ، « الكراسى » ،
 « ضحايا الواجب » ، « الدرس » ، « كيف نتخلص من
 ذلك » .. الخ . غير أنه انتهى من هذه التجارب الأولى
 - تجارب « تقويض المسرح » (Antithéâtre) -
 الى مرحلة ايجابية وسع فيها رقعة « الواقع » الذي يحق
 لفن المسرح أن يقدمه ، حتى يشتمل هذا الواقع على الظاهر
 وغير الظاهر من جوانب الانسان في آن واحد . وذلك بإضافة
 مجالات الخواطر الطليقة والأحلام الشاردة الى مجال العالم
 المادى الخارجى الضيق ، الذى تحده أسوار الحس والعقل .
 وربما كان انتقال « يونسكو » من الهدم الى البناء هو الذى
 جذب اليه أخيرا أصحاب المسارح الممتازة وروادها فى مختلف
 أنحاء العالم .

مسيرته « الطويلة » الأولى

ومسرحية « قاتل بلا أجر » تنتمى الى هذه المرحلة
 الايجابية من أعمال « يونسكو » . انها مسرحيته « الطويلة »
 الأولى . وهو يمعن هنا فى استخدام وسائله الفنية التى
 اتقن تصريفها فيما سبق من مسرحياته الصغيرة . . فيحشد
 عددا اكبر من الشخصيات ، ويعرض مزيدا من الأحداث
 والمناظر ، ويحرك أبطاله أمام لوحات بصرية وسمعية أبعد
 آمادا وأوضح . ولكنه رغم ذلك يرفض - كما رفض من
 قبل - تلك « الواقعية المباشرة » ، ولا يلتقط من الواقع
 التقليدى غير التفاصيل التى تكشف ما يدور فى « شعور »
 شخصياته .

قصة « قاتل بلا أجر »

وأول ما يتيسر لنا أن نعرفه من مقومات هذه المسرحية
 هو عنصر القصة بلا شك . فعلى هذا النحو قد درجنا فى

تناول المسرحيات . ولكن القصة الخلافة ، الجيدة الصنعة ، المحكمة الملايسات و ((الحكمة)) ، ليست هي ما يصبو اليه يونسكو في تأليف مسرحياته . فقد انتهى عهد تلهية الناس بالقصص الملفقة . وما عادت المسرحية تستمد قيمة مضمونها من إثارة التشويق ، ومن براعة المؤلف في التلاعب بأعصاب الجمهور . ولا تختلف مسرحية « قائل بلا أجر » عن قصة « صورة الكولونيل » في سياقها قط . انها تقدم نفس المواقف ، ونفس الأشخاص ، وتستعيد ما ورد بينهم من أجزاء الحوار ، ولا نكاد نزيد على هذه المادة الا ما تقتضيه مسرحية متكاملة ، تحمل المعاني المقصودة الى أقصى غاياتها . وسنرى فيما يلي أننا ازاء قصة بوليسية عادية ؛ بل حكاية مبتذلة ، أبسط من القصص البوليسية العادية : « امامنا فتى يدعى « بيرانجيه » ، من أهل مدينة قائمة مزدحمة ، يزور ذات يوم إحدى ضواحيها ، وهي مستعمرة سكنية مشرقة ، بنيت على أحدث النظم العلمية ، فيعجبه جوها الصحي ويسحره جمال عمارتها ، وينوق الى العيش فيها ليتمتع بأرقى وسائل الراحة والترفيه . ولكنه سرعان ما يفر من تلك « المدينة المنيرة » قبل أن يستكمل زيارتها ؛ فقد شهد زجاج نوافذها يتهدم ، ولاحظ أن سكانها قد هجروها ، وكاد يصيبه أكثر من حجر ألقي عليه وهو في صحبة المهندس الذي يتولى ادارتها ، والذي لا يلبث حتى ينبئه بأن قاتلا مجهولا قد اندس ينشر الرعب في هذا الحي الأنيق !

ولقد دأب ذلك القاتل المستخفي على استدراج الناس - من رجال ونساء وأطفال أبرياء - الى حوض بديع هناك ، حتى اذا أشرفوا على ضفته أخرج من جيبه سرا صورة ضابط جذابة ، في زى المقدم (كولونيل) ، يفريهم بالنظر

اليها ثم يدفعهم فجأة الى الماء فيفرقهم !.. وتثور ثائرة ((بيرانجيه)) الطيب على هذا التجنى المتصل ، لاسيما وقد سارع السفاح الى اغتيال ضحية جديدة هي الفتاة ((داني)) (سكرتيرة المهندس الحسناء التي أراد بيرانجيه حين رآها لأول وهلة أن يخطبها وأن يتزوجها !) .. ويقرر «بيرانجيه» أن يتولى البحث عن القاتل ، وأن يعاون رجال الشرطة في القاء القبض عليه لانقاذ الناس من شره الذي استفحل .. وكان رئيس الشرطة قد اظهر تهاونا يشبه التواطؤ ، وتذرع ببطء الاجراءات دفاعا عن الأمر الواقع .

واذ يعود « بيرانجيه » في ذلك اليوم الى غرفته ، يدهشه أن يجد فيها صديقه « ادوار » ، بل ويدهشه أن يجد في حقيبة « ادوار » أدوات السفاح وصوره وأوراقه . على أن هذا الاكتشاف يحفز عزيمته ، ويضاعف حماسه ، فيصر - رغم تقاعس صديقه - على أن يمضي ليضع هذه الوثائق بين أيدي رجال الشرطة قبل مغرب اليوم نفسه ، درءا لما يبيته السفاح من جرائم القتل المدونة في مفكرته !.. وينطلق « بيرانجيه » ، الا أن رجال الشرطة - المنهمكين في تنظيم المرور بعد تفريق مظاهرة سياسية - يسدون عليه السبيل ويضيعون وقته .. كما يخذله صديقه « ادوار » الذي نسي الحقيبة في الحجرة عند انصرافهما ، ثم تكلف الرجوع ليعود بها ولكنه لا يعود . وها هو ذا بيرانجيه يمشى وحده في طريق طويل موحش ، يغالب الخوف ، ويتردد ، ثم يدفع نفسه الى الأمام دفعا ، حتى يطلع عليه السفاح فجأة وكأنه أن يتربص له !

أما السفاح فلا ينطق بكلمة ، ولا يكاد يتحرك . وازاء صمته واستخفافه وتحديه ، يتكلم بيرانجيه ، فهو يريد قبل كل شيء أن يستجوب هذا المجرم - عدو السعادة اللدود - لينفذ الى سر حقهه على المجتمع . ويسترسل بطلنا الشهم

في خطابه ، مستعرضا شتى الأسباب والاحتمالات والشعارات، فلا يجيبه السفاح في نهاية كل فقرة الا بضحكة صفراء خبيثة . ان بيرانجيه يجهد في اقناع القاتل العنيد بالعدول عن الشر ، فيحدثه ويحدثه ، وينتقل من موضوع الى موضوع ، ومن حجة الى حجة . واذا بحدثه المنفرد - الذى لا يصل الى عقل السفاح ولا يمس قلبه - خليط مفكك من صيحات الفلسفات الأخلاقية المعروفة ، كما تتردد أصداؤها خاطفة مضطربة مهزوزة في نفوس هذا الجيل . . هذا الجيل المترنح ، الذى عصفت به الدعايات المختلفة ، وتجاذبت تياراتها الى اليمين حيناً وإلى اليسار حيناً ، باسم المبادئ العليا دائماً ! وبعد أن ينضب معين البطل من عبارات محفوظة مشوشة ميتة ، يتزايد - وهو لا يدري - تناقضها وضعفها من لحظة الى أخرى ، نرى السفاح يقترب منه شاهراً سكينه ، وينسد الستار .

البحث عن المعانى : القتل . . والأجرة . .

وتبدو لنا هذه المسرحية واضحة سهلة اذا اقتصرنا على تتبع خطوطها الرئيسية من الظاهر . ولكن الأحداث - كما أسلفنا - ليست غاية المسرحية عند يونسكو ، وانما هى مجرد اطار مفتوح تتوافد عليه المعانى والتفاصيل والصور الكثيرة التى تدعونا الى التأمل .

وأعترف بأن عنوان هذه المسرحية « قاتل بلا أجر » قد ضللتني أول الأمر - قبل أن أشاهد تمثيلها كما أخرجها في باريس « جوزيه كاليو » - فلقد تداعت خواطرى الى قصة للكاتب الانجليزى « جراهام جرين » عنوانها « قاتل بالأجرة » ، نلمس فيها نهاية قصوى من الفساد والخزى هبطت اليها البشرية ، حيث رجل بلا ضمير - هو السيد

« تشولوندى » - يكترى مجرما محترفا ليقتل له شخصا ، ثم ينقده على جرمه هذا أجره المعلوم ، فاذا الأجر أوراق مالية مزيفة . . وهكذا يدور الباغى فى حلقة الاثم المفرغة . وظننت ان يونسكو يريد أن « يعارض » جراهام جرين بمسرحية لاذعة تعيد الى قراء اليوم ذكرى « نقائص » الشعراء القدماء . ولكن يونسكو فى مسرحيته لا يشير قط الى قصة « جراهام جرين » ، ولا يناظر قاتلا مأجورا بقاتل غير مأجور ، بل يقدم لنا عملا مستقلا أصيلا ، أطلق عليه فى البداية - كما رأينا - عنوانا آخر : « صورة الكولونيل » . ولعل فكرة يونسكو أعم وأعمق . فبطله ((بيرانجيه)) هو انسان العالم المعاصر ، نتاج الديمقراطية المختلفة التى افترقت عنها القرن العشرون فى الدول المختلفة . هو المواطن العادى بأوجه قوته وضعفه ، وبتفاعله مع نفسه ومع بيئته . انه الفرد الذى باسمه تبذل الوعود للشعب ، وعلى كاهله ثقل الواجبات ، ومن تضحياته للمجتمع تنتظر بحق ثمار الرخاء والعدل والرفاهية . لقد خلق بدهاءة للحياة ، أى يعيش وليسعد . فهل أتيح له أن يعيش وأن يسعد فى « المدينة المنيرة » ؟ ما أروع تطبيقات العلم التى غمرت بفنون من المتعة حاجاتنا ! ليست طوع أيدينا آلات قادرة ، تتحكم فى الطبيعة وتخضعها لرغباتنا ؟ ان الطاقات الكهربائية والذرية . . وسائر ما تحركه من مخترعات الفكر البشرى العجيبة ، كادت تحول أرضنا الى فردوس . فما بالنا مع ذلك نقيم - مثل بيرانجيه - فى ظلام وبرد وتعب وحرمان ؟ ومن هو هذا القاتل الخبيث الذى تسلل الى ربوعنا الجديدة ، يلاحقنا بالكيد والايذاء ، حتى لنهجر هذا الحى البديع الذى توفرت لنا فيه أسباب إجمال حياة . . ماعدا الحياة نفسها ؟

تساؤل مثير أذن عن جرثومة الشر التى تدب فى صميم

حضارة الانسان ، وتدفعه الى القتل والعدم ، الى الحرب والفناء . رغم كل ما وصل اليه ذكاء الاجيال من رقى علمى ومادى . ما سر شقاء هذا الانسان ، وهو الذى اوى الآن جميع وسائل السعادة ؟ ولماذا يعيش فسادا فى وجودنا ذلك السفاح الرمزى ؟ انه مخلوق هزيل البنية ، ولكنه كتلة سماء من البفض والنقمة . والغريب انه يخرب البيوت ، ويفتك بالوادعين ، ويزهق الأرواح ، لا للفوز بمفهم شخصى ، لا لتحقيق غرض عام ، ولا لشيء مفهوم على الإطلاق . وانما هو يفدر ويهدد ويتمادى فى الاعتداء . ولا تفعل سلطات الأمن الا أن تحصى جرائمه بعد وقوعها . فاذا تصدى له لانسان العادى بقلبه الطيب وملكاته القاصرة ، لم يجد سلاحا يواجهه به سوى حصيلة عاطفية جوفاء من كلام لوعظ المعاد ، ومسدسين عاجزين فى يديه من طراز عتيق ! وربما كان للقتل فى هذه المسرحية معنيان : معنى قريب يشير الى شبح الحرب ، الذى لا ينقطع عن تهديد البشرية الدمار . وهنا يطلق يونسكو صرخة احتجاج مدوية ، فضح مجرمى الحرب ، وتجلوهم للعيان فى صورة قتلة بلا لجر ، ينفقون جهودهم فى تدبير أفعال لا غناء فيها لهم ولا فبرهم . . . ويدمغ الحرب بأنها جنون ، وتجسيم لتناقض بقلى ، واثم باطل لا يستطيع منطق سليم أن يبرره !

واما المعنى الثانى للقتل ، فهو معنى فلسفى أبعد ، معنى الموت بمضمونه الواسع . . . الموت الذى يتربص للانسان فى طريقه ، وينهشها فى عقر داره ، ويشتزعه من أرضه التى يحبها ويجعلها ويجعلها محط آماله . الموت الذى يتسرب الى اللذة فيحيلها الى ، وإلى السعادة فيقوض أركانها ، ولا مناص لأمريء من لدغه عاجلا أو آجلا . وهل فى قدرة الانسان المجبول من تراب - مهما اعتمد على العلم ومهما فجر من ينابيع المادة - أن يفلت من قبضة الموت ، وأن يدرك الخلود ؟

ان فكرة الموت تسيطر على يونسكو . كان عنوان الرسالة
التي اراد يوما ان ينال بها درجة الدكتوراه في الآداب من
جامعة باريس ، ولكنه انصرف عن كتابتها : « الموت في الشعر
الفرنسي » . ونحن نكاد نصطدم بالموت في جميع مسرحياته ،
حيث تقع حادثة قتل أو تصادفنا جثة ! . . ولا أدل على ذلك
من مسرحيته الأخيرة التي مثلت سنة ١٩٦٣ : « الملك يحتضر » .
والموت في « قاتل بلا أجر » هو موضوع المسرحية الأساسي ،
يخترقها منذ العنوان الى المشهد الأخير ، في جو من التأزم
التصاعدي . والموت هنا لا يتمثل في ضحايا السفاح العديدة
فحسب ، ولا يتقمصه فقط هذا القاتل الخفي الذي لا نراه
الا في النهاية ، بل ان الموت يظهر بهيئة مربية في شخصية
« ادوار » أيضا . ادوار الذي يدلف الى غرفة بيرانجيه دون
علمه ، ادوار الذي يرتدى ملابس الحداد السوداء ، ويسعل
سعال مصدور لا شفاء لمرضه ، وقد تيبست بالفعل يده
المشلولة . لقد مات جزئيا ، ولاشك في أنه حلقة اتصال
بين الموت والحياة ، مرحلة انتقال غادرة ، يمد أثناءها الموت
شوكته الى الكائن الحي ويكمن بداخله ، قبل أن يقضى عليه
القضاء المحتوم . وادوار يقول في الفصل الثالث بصراحة ،
معلقا على هتاف الجمهور الذي راح ينادي في اجتماع
سياسي بوجوب قتل « الانفصاليين عدو الشعب » : « سوف
ندوت جميعا ، وهذا هو الانفصال الخطير الوحيد » .
وبيرانجيه نفسه في صراع دائم بين الرجاء واليأس ، بين
نفحة الحياة وهمود الموت ، صراع تلخصه صيحته للمهندس :
« ما جدوى كل شيء ، ما جدوى كل شيء ، ان كانت غايته
ان يبلغ بنا هذا المصير ؟ »
ولا يدهشنا في ذلك العنالم الدرامي المتوتر ان تقوم
الضاحية المشرقة الجديدة بجوار مقابر المدينة القديمة ،
عند آخر خط الترام !



اوجین بونسکو

ثورة .. على حماقة الناس !

وازاء الموت الذى يحف بنا ، ويتعقبنا فى كل خطوة نخطوها ، ماذا عسانا أن نفعل ؟ يقول المهندس لبيرانجيه :
- ينبغى أن ننظر الى الحياة مواجهة ، كن واقعيا ! ..
هون عليك ! .. لو فكر الناس فى جميع بلايا الانسانية ، لما عاش أحد . وينبغى أن نعيش ! فى كل وقت هناك أطفال
تذبح ، وشيوخ تجوع ، وأرامل تكلى ، ويتسامى ، ومرضى
يحتضرون ، وأخطاء قضائية ، وبيوت تنهار على سكانها ،
وجبال تسقط .. ومذابح ، وطوفانات ، وكلاب تداس ..
بهذه الطريقة يستطيع الصحفيون أن يرتقوا !

غير أن بيرانجيه لا يرضى بالابتسام للألم ، وينبذ التراخى
والتجاهل والتكيف مع الأوضاع السائدة فى دنياء . انه
يأبى اقرار الأمر الواقع ، مادام الأمر الواقع ظلما وعدوانا
وانتهاكا لبديهيات العدل والعقل . ولذلك يختلف سلوكه
عن سلوك الغالبية العظمى من أهل زمانه . فهو ناشز متمرد ،
ثائر على متناقضات الوجود ، وثائر أيضا على جميع هؤلاء
الذين لا يعترفون من حوله بتناقض الوجود . انه عبثا
يهيب بأدوار : ((أتدرى ؟ هناك أشياء تحدث ، أشياء فظيعة
تحدث فى الدنيا ، فى مدينتنا ، أشياء رهيبه ! لا يتصورها
الخيال ! بجوارنا هنا ..))

أما أدوار فقد بلغ من الانحلال أن تضم حقيبتة متاع
السفاح دون أن يبدى لذلك أدنى دهشة !
وما أشد ضلال الناس ! انهم يتقبلون الموت والخوف بلا
احتجاج . يسلمون بالأخطاء ، ويتحالفون مع أصحابها ،
وَيُؤْمِنُونَ عَلَى الخداع أو يعيشون خائعين .. لقد تبلدوا ،
فقد أحساسهم بالحقيقة . لاذ بعضهم بالأنانية المستهتره
كالمهندس ، وتأكلت مدارك الآخرين كما تأكلت حوافز أدوار .

وحماقة الناس مصدر فياض يعب منه يونسكو ، كما تعب منه القصاص الكبير « جويسست دويير » في القرن الماضي . ولا جدال في أن يونسكو قد تخصص في تسجيل أعراض الخل والانحلال التي تفشت في كيان الإنسان المعاصر .

فساد اللغة

ويستوقفنا في مسرح يونسكو عبث أشخاصه باللغة أو عبث اللغة بأشخاصه . ولن نخوض هنا في النظريات المختلفة التي تشرح نشأة اللغات وتطورها ، لكي نتبين غرض يونسكو . حسبنا أن نقرر ما نلاحظه من أن اللغة اصطلاحات صوتية معبرة يتداولها الناس للتفاهم فيما بينهم وقضاء حاجاتهم المشتركة . وهذه الوظيفة نفسها قد انتهت إلى افساد اللغة ، وجعلتها أداة لعزل الإنسان عن الإنسان ، بدلا من أن تكون أداة صلة وتوافق .

ويفطن يونسكو إلى ثغرات اللغة ، ومواطن ضعفها ، لاسيما وهو روماني يعيش في فرنسا ، ويصطنع الفرنسية في التحدث مع الناس ، وفي كتابة حوار أبطاله . فالفرنسية بالنسبة إليه لغة أجنبية ، لا تتبع من فطرته ، ولا ينساق إلى ترديد مصطلحاتها بلا وعي ، ولا ترن في سمعه رنين البديهييات التي تفنيه عن التفكير . وإنما هو يستطيع أن ينظر إليها من الخارج ، أن يراقبها ، أن يفحصها ، وأن ينقدها . وإذا يقارن اللفظ بالمعنى ، يلمس ما بينهما من تفاوت ونباين وعلاقات غريبة في تأدية المقصود ، تغيب أوجه شذوذها عن يتكلم لفته بالوراثه .

هذا الحوار الطويل بين « بيرانجيه » والمهندس - وهو يستغرق الفصل الأول بأكمله من مسرحية « قاتل بلا أجر » - يصور قصور اللغة وأثرها المباشر في اضطراب الفكر . بيرانجيه لا يكف عن الكلام ، وكلامه المتدفق تعليق على كل

ما يعرض له ، وتعليل للظواهر التي يجوس خلالها . أنه يحول كل ما يطرق خاطره الى ألفاظ وحمل ، فيسأل ويجيب ، ومن فرط حرصه على الفهم يندهش مما لا يدعو الى الدهشة . ومن حقه أن يفهم عالمه ، غير أنه يسمى لهذا الفهم بجهاز عقيم : فعدته هي ذخيرة المواطن العادي من صيغ عامة ، وأقوال مأثورة يلقيها فيتقحمه في موضوعات لا يقصدها ، وتخلط عليه أيسر المعاني ، وإذا كل عبارة يفوه بها تناقض سابقتها . ويزيد الطين بلة أنه طيب القلب ، حسن النية ، شديد التحمس ، يريد في كل لحظة أن يشاطره الآخرون وأن يشاطرهم هذا الوجود ، فينخرط في شجون الحديث ، ويتدحرج على الألفاظ ، حتى يفقد اتجاهه الأول ويندفع في عكسه . ذلك أن مواده اللغوية لا ترتبط برباط الأفيما بينها ، بحيث يدور معها في حلقة مفرغة ، كدورانه حول نفسه وهو يحاول الفرار من « المدينة المنيرة » . وعلى هذا النحو يتورط في الخطأ وتضحكنا شذرات أفكاره المرصوفة في تصريحاته الجدية ، كما يضحكنا هديان مريض لا يدري أنه يهذى !

أن للمنطق واللفة تراكيب آلية ، تجلبنا عجلتها فنتحول معها الى آلات صماء ونحن نظن أننا نفكر وأننا نعني ما نقول . ومن هذه التراكيب يسخر يونسكو ، ويضع على السنة أبطاله ضمن الفقرة الواحدة مجموعة من الأضداد المتفجرة ، كقول « بيرانييه » للمهندس منلا :

— أنك تتحدث عن مدن تسمى أيضا بالسراب ، لقد قرأت بعض روايات المستكشفين عن هذا الموضوع . السراب . . انه حقيقة واقعة . أزهار النار ، وأشجار اللهب ، وغدران النور ، لا توجد حقائق سواها ، في الواقع . اننى شديد الاقتناع بها .

ويونسكو خبير بكل المزالق اللغوية والبلاغية المعروفة في القياس المنطقي والسفسطة والبيان ، يتفنن في استغلال مقالات التشبيه والاستعارة والكناية والتورية والمقابلة . . الى آخر تلك الألعاب التي يثير بها الضحك . وقد بلغ عددها لديه ستا وثلاثين طريقة - في احصاء لطيف قام به الناقد الشاعر « ألان بوسكيه Alain Bosquet » .

وفساد اللغة كما يرصده يونسكو ليس الا ظاهرة من الظواهر التي تدل على خواء الكائن البشرى . لقد تجاوزت اللغة في أفواهنا وظيفه الوعاء ، واغتصبت سلطة المضمون . أو نحن الذين نزلنا للوعاء عن سلطة المضمون ، لأننا أصبحنا لا نملك مضمونا ثابتا نرجع اليه ونستمسك به ، ولم تعد لدينا قيم محددة ومعايير صحيحة ومفاهيم جامعة مانعة . لقد أصبحنا نفكر بالفاظنا حتى قضت الألفاظ على ملكة الفكر فينا . أصبحنا الوعاء ، ثم أصبح الوعاء خاليا ، يمتلئ بآية مادة تصادفه . نحن نتكلم لأن كلامنا قناع نحاول أن نستتر به فراغنا الداخلي ، ونحاول أن نحجب به عن عيوننا تناقض العالم الخارجى . اننا فى كلامنا نتشبه بتسلسل منطقي أنشأناه توخيا للوضوح ، ونهسرنا على ادراكنا ، وتهربا من المشكلات الحقيقية التي تحتل وجودنا . أما وجودنا فلا يطابق المنطق الذى نسيج في تياراته ، لأنه يتميز بأنه وجود « غير معقول » .

محادثات الناس على هذا النوال نسيج من لحظات الغفلة . فمنذ البداية ، رغم تبادل التحيات وكلمات المجاملة ، لا اتصال بين ذلك المهندس وبيرائجيه ، حتى في الفترة التي يفرغ فيها المهندس تماما لسماع بيررائجيه ، أى قبل أن ينصرف الى مراجعة أوراقه العاجلة والى الرد على التليفون ، مدعيا - في أدب جم - أنه أثناء عمله يصفى لبيرائجيه دائما . وما انصرفه الى أوراقه تارة ، والى التليفون تارة أخرى ،

الا ترجمة بارزة مجسمة لآثار اللغة . ففي الأوراف كلام مكتوب ، وفي التليفون كلام شفوي . وكل كلام غشاء عازل ينسدل بين الأفراد . ويظل بيرانجييه يتلقف الكلام الموجه الى سواه على أنه موجه اليه ، ويبني عليه آماله وآلامه ، ويبني عليه مستقبله وسعادته - عندما تظهر السكرتيرة الشقراء ويطلب يدها . واذا كانت عبارات الحديث الخاص بين شخصين تصلح لثالث قد استغرقه موضوع مستقل - موضوعه الأثير - فما قيمة هذه العبارات ؟ أى شيء هنالك يساوى أى شيء ! ان الكلام على هذا النحو مصدر لسوء التفاهم . فكل امرئ محصور في منطقة معينة من الاهتمامات ، واللغة بآفاتها تلك تحول دون التواصل بين منطقة ومنطقة . ويتلاقى الناس مع ذلك ويتخاطبون ، ويخيل اليهم أنهم يتبادلون نفس المعانى ، وأنهم ينظرون الى نفس الأهداف ، وأنهم على بيته من أمورهم . . ولكن سرعان ما يشتد اللبس والتخبط والتصادم بين أبناء عالم واحد ، قد توهّدوا أنهم متفقون متحدون .

واللغة - فوق ذلك - مركب غدر وهلاك . سلاح خطير تسلطه تنظيمات العصر على حرية الفرد . من كل ناحية تقيّد البشر سلاسل من الكلام الشائع ، درر من الحكم والأمثال ، أطواق من العادات التعبيرية ، من المصطلحات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ، روجتها الصحف ، والإذاعات ، وأجهزة الدعاية . وهذا السيل الجارف من الشعارات يطفئ على الوجود الشخصي الأصيل ، ويحتل باسم العقل والمنطق مكان المرء ، ويجعل حياته مجرد تطبيقات لتلك الأقوال الدارجة . لقد انطمست شخصية الانسان في ظل الأساليب العامة . وانحدرت لغة اليوم بكرامته الى حضيض الابتذال .

ويتجلى الابتذال في كلام فئة البوابين والبوابات ، وهي معروفة في قرنسا بالفراغ والتطفل والجهل ، وبحسب الثثرة والشائعات والقييل والقبال . والبوابة من أهم شخصيات يونسكو ، نلقاها في كثير من مسرحياته : ((أميديه)) ، ((الكراسي)) ، ((الساكن الجديد)) الخ . انها تمثل ما انتهت اليه الطبقة البورجوازية من التدهور والانحطاط . وفي مسرحية « قاتل بلا أجر » تصول البوابة وتجول في الفصل الثاني ، ثم تظهر في الفصل الثالث وقد أمست زعيمة شعبية تدعى « الأم بيب » ، ووقفت تخطب على قارعة الطريق في حفل انتخابي حاشد . ومن حق يونسكو ، بعد أن بلا في بلاده أكاذيب النظم الديكتاتورية ، وزيف شعاراتها ، واستبدادها الخائق ، أن يسخر بعنف من فساد السياسة ، وأن يندد بالنازية وبالديمقراطيات الشعبية ، وما تقوم عليه من خداع المبادئ .

واذا كان بيرانجيه قد أفلت من أغراء خطبة « الأم بيب » وعودها المعسولة - بعكس قرينه ادوار - فما ذلك إلا لأنه جاد في البحث عن السفاح ، منطو على رغبته . وليس معنى هذا أنه قد نجا . لقد نجا من شعارات ((الأم بيب)) لكي تقضى عليه شعاراته هو عندما ينبرى لمخاطبة السفاح ويتولى اصلاح أمره بالكلام . . فان بيرانجيه ضحية اللغة قبل أن يكون فريسة المجرم . ومن هذه الناحية ، ما أشبه حديثه الفردي الأول - على مسمع من المهندس - بحديثه الفردي الأخير في حضرة السفاح ! هناك رأينا بيرانجيه يستطرد ويتعثر ويتناقض ، وهنا - في ختام المسرحية - نرى بوضوح مروع كيف تتفكك العزيمة ، وكيف يتحلل الفكر ، ويتهاوى في مساقط جدل أجوف . ان اللغة هي التي مهدت لاستسلام بيرانجيه ، وأفضت الى خوره وهزيمته . وهذا الخطاب الطويل المتداغى ، قمة من قمم الانشاء المسرحي ، باعتراف

الناقد المحافظ الكبير « جبرييل مارسيل » نفسه ، وهو الذي يقسو - بوجه عام - في أحكامه على أعمال يونسكو وأدب « الطليعة » .

تفتيت الشخصية

في اللغة اذن فساد جوهرى يبدد وعى الانسان ، ويدل على هذا التبدد ، وهكذا لا نجد أنفسنا أمام شخصيات محددة الملامح كشخصيات المسرح التقليدى . لقد ذهب عصرنا بتماسك الشخصية . ذابت اصالة الفرد في التكتلات المفتعلة ، وشتتت قواه حاجات انعيش ، ونظم العمل ، وأنواع الضغط الكثيرة التى تفت في عضده ، وتتحكم في ارادته ، وترغمه على التكيف بأنماط معينة من السلوك ، وأداء واجبات مرهقة لا تنبع من رغباته . ولقد سبق أن نبهت مدرسية التحليل النفسى - التى أسسها « فرويد » - الى تعدد الشخصية الواحدة تحت عوامل الكبت الاجتماعى . وكانت لهذه النظرية آثارها الملموسة في تطور الأدب الحديث ، ولاسيما في مذهب « السيريالية » ، التى تطلق العنان لمكونات العقل الباطن والأحلام . ومهما تبرأ يونسكو من السيريالية وأصحابها ، فإنه بلاشك قد أفاد من منهجها . ولا يستطيع الباحث في مسرحه أن ينكر ارتباطه بكتابات « الفريد جارى » و « أنطونيان ارتو » Antonin Artaud .

والفرق بين شخصيات يونسكو والشخصيات التقليدية فرق كلى : فالمسرح التقليدى ينظر الى الشخصية على أنها وحدة متميزة ، قائمة - بذاتها - على جملة من السجايا أو الحروب التى يكفى سردها للتعريف بالشخصية أولا وأخيرا . أما يونسكو فينظر من خلال الفلسفات الحديثة الى وعى الانسان وما يتقاسمه من عوامل التوتر والتفيز .

فيما مضى كان الممثل ملكا أو تاجرا أو خادما ، يتكلم - حسب منزلته - بلهجة الملوك أو التجار أو الخدم . كان البخيل بخيلا دائما عند ((مولير)) ، والكريم يلقى درسا في الكرم ببلاغة ((كورنى)) ، والعاشق هيمان لا يحفل بغير الحب مثل ((روميو)) . وكان من الأخطاء الفاحشة في عرف المؤلفين والنقاد أن يتفوه أرسطو بكملة سوقية ، فاذا تنكر السيد لحظة في ثياب خادمه - أو العكس - أسفرت عن كل شخص لفته وآدابه . وما أكثر المسرحيات التى تدور بأكملها حول تلك المواقف ! . وبعبارة أخرى ، كانت هناك معالم واضحة ، فضائل ورذائل نمت ، وتبلورت ، وبرزت على رقعة مجتمع مستقر في نظر أهله . وباهتزاز مقاييس ذلك المجتمع في العصر الحديث ، سقطت تلك المعالم ، واستوى السطح وتعددت أشكاله وتبدلت أبعاده ، وتركز اهتمام الفكر على القيم الدقيقة الفائرة تحته . وفي وسع يونسكو الذى استوعب آخر نتائج العلوم الانسانية أن يستشف الصدوع في نفس الانسان ، وأن يدرك مأساة البشر الحالية كما شهد أطرافها الممتدة من شرقى أوروبا الى غربها .

ولماذا يظل المسرح بعد هذا كله تابعا لرأى الأولين في رسم الشخصيات ؟ هل فن الدراما مجرد ((ملحق)) لعلم النفس بمفهومه القديم ؟ لقد تفككت الشخصية ، بتشابه الناس الاجبارى في التكتلات المعاصرة ، وبثشت الشعور الذاتى . وأصبح فلان أو فلان - على السواء - سلسلة متقطعة من أوضاع الوجود ، تجاوزت حلقاتها المخلخلة في جسم واحد . فالفرد عدة تقط متفرقة من الحالات لاتربطها سوى الملابس العارضة . وما يبدو من علاقات ثابتة بين الناس واتصال في الشخصية إنما يصدر عن الذاكرة ، لأن التجربة الانسانية متناثرة موزعة ، وليست الذاكرة هي

تذكر الأحداث مباشرة ، بل هي كما يقول بيرانجييه للمهندس : « تذكر الذكرى ، كفكرة أصبحت غريبة عني ، كقصة رواها غري » . . . إن بيرانجييه يحاول - في عناء - تذكر سعادته القديمة . وفقدان الذاكرة - وهو مرض يبين خضوع الإدراك الحسى لتحكم الظروف الخارجية الطارئة - موضوع من الموضوعات الأثيرة في مسرح يونسكو . وقد عرف الأدب منذ الجيل الماضى - وخاصة المسرح - أهلية هذا الموضوع الجديد ، واستوحاه بصورة بسيطة « جيرودو » في مسرحية « سيجفريد » و « جان أنوى » في مسرحية « المسافر بلا متاع » .

وإذا اقتصرت الحياة الشخصية الآن على التقاء مرضى بعض الحالات الوجودية غير المحددة ، فليس ثمة ما يدعو - سداغ هو وعى انسان معين . وبذا يسقط معنى « لشخص » المؤلف الى حصر تلك الحالات الشاردة داخل اطار كامل المسرحية الذى كان يعتمد على تصنيفات علم الخلائق القديم . لا عجب اذن فى أن تطفو شخصيات يونسكو بين حين وحين على وجه الحياة ، لا عجب أن تظهر بفتة بدون مقدمات وأن تتوارى بفتة بدون تعليقات ، ولا عجب أن تنصهر شخصيتان فى شخصية واحدة ، أو أن نسمع نفس الكلام من عدة أشخاص ، وأن يعبر ممثل عن خواطر ممثل آخر . . .

وشيوع الشخصية على هذا النحو نذير بفنائها . وفي « قاتل بلا أجر » تتعدد الاشكال التى يتخذها الفرد الواحد : فالمهندس يصبح فجأة مأمور الشرطة ، والبوابة تصبح الزعيمة « الأم بيب » ، كما أن بيرانجييه وادوار فرينان متلازمان ، مع كل منهما مفاتيح نفس الحجرة ، وأكبر الظن أنهما شخص واحد تقمص بيرانجييه جانبه الذى يطفو على

**سطح الحياة ، ورسب في ادوار جانبه الدفين الذي دبت
اليه جرائم الموت .**

ولقد ذهب يونسكو هذا المذهب في مسرحياته السابقة ،
حيث يعرض علينا من الشخصية الواحدة نسخا كثيرة ،
تحمل نفس الاسم ، وتقوم نفس المقام : فهناك « روبرت »
رقم ١ و « روبرت » رقم ٢ في مسرحية « جاك أو الخضوع »
وهناك بارتولوميو رقم ١ و بارتولوميو رقم ٢
وبارتولوميو رقم ٣ في « ارتجالية الألبا » . الخ .
وكل نسخة من نسخ الشخصية تستطيع أن تستمر كلام
الأخرى ، وتكرره ، دون أدنى فارق . ولن يكون انتقال
الجواب الواحد من فم الى فم دليلا على وحدة
الشخصية . انها وحدة سلبية على كل حال ، هي وحدة
الفراغ الذي انتهت اليه هذه الشخصيات ، ونكاد نقول انها
وحدة العدم . وتحلل الشخصية على هذا النهج لا يطابق
انقسام الشخصية في مدرسة التحليل النفسي التي ترد كل
ظاهرة الى علة معقولة ، وانما هو تحلل « لا معقول » لعله
انسب تعبير عن عالمنا الحالي « اللا معقول » .

وتقهقر شخصية الانسان يلازمه في أعمال يونسكو تكاثر
الأشياء المادية من حول الممثلين ، الى حد تضيق به خشبة
المسرح . فالمادة هي التي تراحم النفس في دنيانا ، وتلح
عليها الحاحا ثقيلا ، وتشتد في حصارها حتى تطردها من
الوجود وتحتل مكانها . وذلك ما نلاحظه في الفصل الثاني
من مسرحية « قاتل بلا أجر » : فغرفة بيرانجيه المعتمدة غاصة
بأثاث ضخمة عتيق ، وحقيبة ادوار تنفرج عن أوراق وعلب
وأشياء سخيفة لا تلبث حتى تملأ المائدة وتنتشر في كل ركن
بصورة تجاوز ما يتوقعه العقل . وبالمثل يروينا تراكم
« الكراسي » في المسرحية التي تحمل هذا العنوان ، وتراكم
قطع الأثاث أيضا في مسرحية « الساكن الجديد » . ولا
حول ولا قوة للانسان ازاء طوفان الجماد ، فالانسان اليوم

كالمعجز عن صد هذه الأشياء المادية التي تجتاح حياته وتلفى وجوده ، مع أنها من صنع يديه !

هدم أسس المسرح !

ومن المعروف أن أهم أسس المسرح التقليدى هى القصة والشخصيات والحوار . ويونسكو - كما رأينا - يحطم هذه الأسس : الحوار لديه يشهد بفشل الالفاظ فى خلق الاتصال بين الناس ، بل ويبين انهيار الفكر بتداعى الالفاظ . والشخصيات لديه قد هجرتها نفوسها ، وأصبحت هياكل خالية ، لا يهزها انفعال ، ولا يسرى فيها شعور ، ولا يتميز بعضها من بعض . وأما القصة لديه ، فلا تستقيم لها أحداث معقولة ، وإنما تدور مع عناصرها تلك الجوفاء فى حلقة مفرغة ، كـ « مسرحية » الدرس التى تنتهى بنفس المنظر الذى بدأت به .

وعزى علينا حقاً أن ينهار أمامنا المسرح التقليدى الذى تعودنا التطلع الى بنيانه ، وتأصلت قيمه الجمالية فى ذوقنا وثقافتنا ، بعد أن قامت على طرازه صروح فنية شامخة . ولكن تحطيم الفن قد لا يكون عبثاً وتخليباً وأعداء فى عصر تحطم الذرة وبعث طاقات جديدة من قلبها . انه عمل أدبى صادق . وفى مسرحية « ضحايا الواجب » ، نسمع هذه العبارة على لسان « مادلين » : « هناك دائماً ما يجب أن نقوله . وما دام العالم الحديث فى انحلال ، فأنت تستطيع أن تكون شاهد الانحلال » . وليس أغراب يونسكو ، وعكوفه على الآلية والعنف والهذيان ، مستوى رصد دقيق لما يدور فى عالمنا الحاضر . وهو يفصح عن ذلك عندما يقول لنا - على لسان شخصية « يونسكو » نفسه - فى « ارتجالية الأما » : « أن

المسرح بالنسبة لى ، هو انعكاس للعالم الداخلى على منصة التمثيل : فهن أحلامى ، ومن هواجس قلقى ، ومن رغباتى الغامضة ، ومن متناقضاتى الباطنة ، أحتفظ - شخصيا - بحق استمداد هذه المادة المسرحية » .

ووصف العالم بأنه « لا معقول » ليس بدعة من ابتكارات يونسكو ، وإنما هذا موضوع الأدب الحديث منذ ربع قرن تقريبا ، وموضوع كتابات « سارتر » و « كامى » بوجه خاص . ولكن سارتر وكامى احفظا - فى معالجة « اللامعقول » - بكل مقومات الشكل الأدبى التقليدى ، الذى يخاطب العقل بلفته العقلية ، ويجرى على سنن الاوائل فى الانشاء القصصى أو المسرحى أو الجدلى . وتجديد يونسكو يتلخص فى تحطيم قالب الفن بما يناسب أشلاء المضمون ، مادام الإنسان وعالمه الآن مجرد أشلاء متناثرة متنافرة تند أوضاعها عن نظم العقل وتزرى بأحكام المنطق . ولقد نشطت اليوم بين أدباء القصة أيضا حركة هدم موازية ، تعرف فى فرنسا بحركة « القصة الجديدة » ، من أعلامها الآن روب جرييه ، وناتالى ساروت ، وميشيل بوتور ، وغايتها التحرر من قواعد القصة الموروثة ، وتقديم المادة القصصية فى مثل التثمت الذى يستقبلها به ادراكنا فى واقع الحياة . وهكذا تفمر الأدب موجة جريئة من أعمال الطليعة فى كل فن ، موجة هائلة تصفعنا بها ربح العصر النرى التى غدونا نضطرب فى مهبها .

نحو مسرح جديد

وليونسكو رأى علمى فى تاريخ المسرح ، كيف كان فى الماضى وكيف ينبغى أن يكون فى منتصف القرن العشرين :
فالمسرح فى العصور القديمة ، ولاسيما لدى الاغريق ،

فن جماعى ملحمى ، يتوخى أن يضع - فى صورة مصفرة للمجتمع - بطلا نموذجيا وسط جوقة المنشدين ، للتعبير عن صراع الانسان ضد غوائل الطبيعة أو الحروب ، فى كون لا تفسير له اذ ذاك سوى القدر الخفى الذى يتدخل فى شئون الناس كما يشاء . وفى العصور الوسطى - مع سيطرة الدين - أصبح هذا الصراع الدرامى صراعا بين قوتين عظيمتين هما الشر والخير ، قوة الشيطان وأنصاره ضد قوة الله وعباده . فلما جاء عصر النهضة ، آمن الانسان بنفسه أولا ، وكشف أن الصراع انما يدور فى داخله ، بين عقله وغرائزه ، على نحو ما يتجلى فى شخصيات ((شكسبير)) ثم ((كورنى)) و ((برأسين)) . وأما العصر الحديث ، فقد انتشرت فيه حضارة مادية لم ترتفع للأسف بوجدان الفرد ولا بفكره ، بل تمخضت عن حروب طاحنة ونظم عقائدية صارمة ، تعارض حرية الانسان الطبيعية ، وتحشد البشر مثل قطعان الماشية لاستغلالهم وتسخيرهم . ولهذا ثارت ((الوجودية)) ونادت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية بأن الحقيقة هى ما يريده الانسان وبأن أوضاع الحياة الراهنة لا معنى لها . وهنا تترجم الدراما عن نوع جديد من الصراع ، هو الذى احتدم بين الفرد بوصفه انسانا حرا ، وبين النظم الاجتماعية والظروف الخارجية التى تضيق عليه الخناق .

وتغير مجال الدراما على هذا النحو يقتضى تغييرا فى شكلها . فبدلا من الخط المستقيم الشهير الذى يمتد من نقطة بدء معينة الى أزمة ثم الى انفراج ، بدلا من هذا الخط الذى يفترض أن الانسان طبيعة ثابتة ، ينبغى تصوير حقيقة الانسان من حيث هو كائن حى متطور ، يتوثب ويتوق الى الانطلاق ، ويتحرك - ما استطاع - ضد عوامل الضغط .

ومن ثم يعرض علينا يونسكو شخصياته في حالات متتالية - غير مترابطة - من الكر والفر ، من التطور المتقطع المستمر . فالشخصية مجموعة مواقف متفرقة ، في كل منها يشن البطل هجمة تناسب المقام على مصدر الخطر الذى يهدده . والبطل شخصية عادية لا ممتازة ، واحد من هذا القطيع الآدمى المطارد اللاهث . وهو يتكلم لا ليصف من الخارج نضاله ، كما كان يفعل أبطال المسرح التقليدى الحريصون على اتحافنا بالتقارير الموضوعية الوافية عن كل جزء من أجزاء القصة ، وانما هو يتكلم نلقائيا ، كما تعن له الأمور ، لا ينتقى الفاظه ، ويدع لاقواله التافهة أن ننقل لنا مباشرة ما يعتريه من تناقض المفاهيم . انه عيب ، منعزل عن المعانى ، يسىء التعبير ، فتتسع الهوة التى تفصل بينه وبين واقعه ، ويشتد التوتر . وهنا يضحك المتفرج . . . اى ان الجمهور يستيقظ ، ويتنبه ، ويدرك ، ويتدخل فى المشكلة . وهذا هو الحل المقصود للآزمة ، بدلا من ((التطهير)) الذى كان ارسطو يقول انه ينقى الانسنان بفضل هزة الرعب التى تتأبه وهزة الشفقة التى تسرى فى نفسه أثناء مشاهدة التراجيديا .

ولقد كان ارسطو يحذر من الجمع بين التراجيديا والكوميديا ، فلكل مقام مقال ، ولكن يونسكو يثير فيتنا الضحك من محن اليمه ، لانه يروجو أن يكون ضحكنا افاقة من غفلتنا ، ونزوعا الى تصحيح الاوضاع المقلوبة . وفى تبرير منهجه يذكر يونسكو انه رأى الناس من حوله تفسر الواقع بالخرافات - اى بالظروف الطارئة دون تحقق من مفزاها ، بالشائعات الرائجة دون تثبيت من مضمونها - فأتى بتلك الخرافات ، وجسمها (فى صورة « السفاح » مثلا او « الخريت ») وجعل الناس تندمج فيها ، حتى

تجتازها ، وتخرج منها ، وتخلفها وراءها ، وتعود الى واقع سليم مجرد من الخرافة .

تصحيح مفهوم الواقعية

يتحرر يونسكو اذن من حرفية القوانين المسرحية العتيقة ، ويعطى الى روح المسرح الخالصة - اى حركة الصراع - ويبعثها في واقع الانسان المعاصر . على ان « واقعية » يونسكو تختلف تماما عن واقعية المسرح التقليدى ، الذى ظل قرونا طويلا يزعم انه يحاكي الواقع او يحاكي الطبيعة . وكيف يصدق في نقل الواقع فن كالمسرح له اصول ومصطلحات تقتضيه ان يتصرف في ذلك الواقع بالاختيار والتنسيق ، بالحذف والاضافة والتعديل ؟

ان في تسمية اى مسرح « بالمسرح الواقعى » مغالطة وكذبا . . ولا سيما مسرح النصف الثانى من القرن الماضى ، وليد الفلسفة التقدمية التى نبتت في القرن الثامن عشر وامتدت فروعها بعد ذلك في علوم المجتمع والاقتصاد . ولقد اجتازت الانسانية هذا المذهب الفكرى النازع الى المادية ، وعادت منذ اواخر القرن التاسع عشر ، مع « مارييتان » و « برجسون » و « فرويد » الى الاهتمام بالقوى غير المنظورة التى تؤثر في حياة الانسان وتحفزه الى الحركة : قوى الايمان والحدس واللاوعى . ولكن المسرح كان ابطأ الفنون جميعا في التخلص من وطأة تلك « الواقعية » المزعومة ، لارتباطه بسواد الجمهور ، فجمهور المسرح - كما هو معروف - بطيء التطور ، ينفذ عن الممثلين الذين يصدرون ذوقه ، على حين يستطيع الرسام المجدد مثلا ان يكسب عيشه اذا صادف تشجيع نفر قليل من الخاصة . ورغم احتجاجات « كلوديل » و « جارى » وغيرهما ، لا يزال اللون « الواقعى » يصيغ التمثيل في مسارح العواصم الكبرى :

فموسكو تدين « باتواقعية الاشتراكية » وتمجد « مكسيم جوركى » ، ومسرح « البولفار » في باريس يستهوى عامة الفرنسيين وافواج السياح .

ولقد شن يونسكو على ذلك الزيف هجمات عنيفة ، في أحاديثه ومقالاته ومسرحياته . ولعله يستمد عنفه من القوة التى بلفها التيار الجديد . وخلاصة رأى يونسكو ان تقييد الفن بقيود الواقعية الخارجية من شأنه ان يحجب عن الانسان مناطق شاسعة من حقيقته . وما افقر ما يجرى فى حياتنا اليومية ! انها أمور سطحية تعزلنا عن حياتنا العميقة الزاخرة بمعانى الحب والموت والعجب ، وتقصينا عن منبع المعرفة الكامن فى الخيال والأحلام . ويونسكو يحاول ان يقطع اوصال العلم العقلى الذى باسمه فرضت علينا تلك « الواقعية » . فهذا العلم - كما فضح أمره عدة فلاسفة محدثين - علم ناقص وخادع ، قد انصرف الى صياغة الملاحظات الحسية فى مصطلحات الرياضيات ومعادلاتها ، وألهمته عمليات تلك المعرفة الظاهرية عن معرفة النفس وتحرى ماهيات الكون . وفى كلام « بيرانجيه » ومصريه سخرية رهيبة من المنطق الشكلى ، الذى يقحم المجادل فى الخطأ ، بينما يوهمه بأنه على صواب . ما عمر بيرانجيه فى مسرحية « قاتل بلا أجر » ؟ انه يجيب : « أنا ربما أبلغ من العمر ستين سنة ، سبعين سنة ، ثمانين سنة ، مائة وعشرين سنة ، من يدري ؟ . أشعر اننى عجز . فالزمن معنى ذاتى قبل كل شيء » . أوليس تحديد عمر الانسان بالأرقام عملية تحكمية جائرة ، لأنها لا تحسب حسب تهاب تجاربه أو حالته النفسية ؟ ومن حق مقاييس النفس ان تنقض مقاييس الزمان . ونحن انجابه مع بيرانجيه فى الفصل الأخير من المسرحية ساعة واقفة ، لا تتغير أبدا قراءة الوقت الذى تشير اليه ،

ونتوغل بصحبته في عالم « غير واقعي » قد انعدم فيه الزمن ، وكأننا نعيش معه في حلم أو « كابوس » !
والمكان أيضا قد ينعدم في مسرح يونسكو ، كما ينعدم الزمان . نرى مثلا لذلك في الفصل الأخير من « قاتل بلاجر » ، عندما يسير بيرانجيه في طريق لا ينتهي ، وأمامه شمس غاربة في الأفق لا يصدر عنها ضوء ، وإنما هي قرص كالحج وعمم مرسوم في أقصى المنظر !

بهذا الأسلوب المتخفف من أوامر العقل ونواحيه يحسم يونسكو مشكلة تصوير الزمان والمكان في المسرح . وهي مشكلة مزدوجة اقترنت بتاريخ الأدب التمثيلي منذ أقدم العصور ، وادت إلى خصومات ومعارك صاخبة ، كمعركة « السيد Le Cid » في القرن السابع عشر ومعركة هرناني « Hernani » في القرن التاسع عشر . ولقد اشتهرت صرامة المؤلفين « الكلاسيكيين » في احترام وحدة الزمان ووحدة المكان ، كما اشتهرت ثورة المؤلفين « الرومانسيين » على تضيق هذين المفهومين . والطريف أن كلا من الفريقين اعتمد في الدفاع عن رأيه على حجة التشبيه بالواقع ، ودعا إلى ضغط زمان الأحداث ومكانها بنسب خاصة . ومهما يكن من قيمة تلك الحلول ، فقد جرؤ يونسكو على اخراج الانسان من الزمان والمكان ، خارقا بذلك مقولتين عظيمتين من مقولات المنطق .

وها هو ذا الانسان الذي انطلق من أسار العقل يفتح حميئة عجبية كان يجهلها ، منطقة تسود فيها الحرية ازاء الاعراض المادية . انها حرية مذهلة كحرية رجال الفضاء اليوم ، حينما تبلغ بهم سفنهم الصاروخية منطقة انعدام الوزن ! ومع ذلك ، فالعالم الذي يطلع عليه رجال الفضاء عالم « واقعي » ، لا ينفي احتجابه عن حواسنا حقيقة وجوده وحقيقة علاقتنا

به . وهكذا يتخطى يونسكو حواجز الواقعية الموروثة ،
ويوسع مجال واقعه المسرحي فيمد أبعاده - مع الاحلام
واللاشعور - الى ما وراء المحسوس .
وهذا لا يعنى ان يونسكو يعمد دائما الى التجريد .
صحيح ان ديكور الفصل الاول من « قاتل بلا أجر » منعدم
او مقصور على الاضاءة التى تخلق بالانوار وحدها كل الاجواء
النفسية اللازمة ، ولكن ديكور الفصل الثانى يعج بأكداس من
التفاصيل المادية الدخيلة التى تثقل على السمع والبصر .
وهو تناقض مقصود ينقلنا من « الضاحية المنيرة » الى المدينة
المرهقة .

ان يونسكو - كما أسلفنا - يستعير فى كل مناسبة خير
ما يبرز فرضه من شواهد العالم المحسوس ، أو من وسائل
الشعر وصور الخيال . لقد حول « الواقع » من سيد الى
خادم . حطه ، وبسطه ورده الى خطوط قصيرة مستقيمة
تسجل الدوافع والانطباعات . واخضعه لآلية تشبه آلية
مسرح الدمى ، حيث تتحدد حركات الأشخاص بجذب
خيوط معينة توجهها . ومن مجموع هذه الحركات ، من
سرعتها وبطئها ، ومن المبالغة فى بعضها احيانا ، ينتظم ايقاع
مؤثر ، يقترب بالمسرح من فن « الباليه » .

نحن و « يونسكو »

على هذا النحو تلتقى فى مسرحيات يونسكو نظرة الفلسفة،
ودقة البحث والتحليل ، وقسوة المضمون ، وجدة الصياغة
الجمالية . غير أن هذا المجهود المتعدد الجوانب لا يخلو من
شوائب العسف والتكلف . ومع ذلك فهو جدير بأن نتأمل
عناصره ، وان نستقصى دلالاته ، وان نستأنس أوجه القرابة
فيه ، لا بأن نرفضه رفضا لخروجه عما درجت عليه أذواقنا

ويونسكو يطمع في أن نعترف به كاتبا « كلاسيكيا » من كتاب المسرح ، لأن القلق الذي يرصده قلق ميتافيزيقي ، ولأن البلبلة التي يصورها هي بلبلة النفس البشرية عامة على مدى العصور واختلاف البلدان . ترى هل يفسح تاريخ الأدب ليونسكو هذا المكان المرموق ؟ وهل تثبت أعماله لامتحان الأجيال كما تثبت أعمال « راسين » و « موليير » ؟ ذلك ما نترك للخلف أن يقرره . أما نحن فحسبنا أن نتفهم هذا المسرح الجديد .

« أ . ل . »

المراجع

- Eugène Ionesco : *Théâtre* I, II. Gallimard, 1958.
- : "Expérience du théâtre", *Nouvelle Revue Française*, No. 62, Février 1958, p. 247-270.
- : "Pages de Journal", *ibid.*, No. 86, Février 1960, p. 220-233.
- : *Notes et contre-notes*. Gallimard, 1962.
- : *La Photo du Colonel*. Gallimard, 1962.
- Serge Doubrovsky : "Le Rire d'Ionesco", *Nouvelle Revue Française*, No. 86, Février 1960.
- R.-M. Albérès : *L'Aventure intellectuelle du XXe siècle*. Albin Michel, 1959.
- P.-A. Touchard : "Un théâtre nouveau", *L'Avant-Scène*, No. 156, p. 1-2.
- Georges Neveux : "Eugène Ionesco" *ibid.*, p. 26-27.
- H. Gouhier : "Un théâtre humain de la cruauté", *La Table Ronde*, No. 147, Mars 1960, p. 178-181.
- Richard N. Coe : *Ionesco (Writers and Critics)*. London, Oliver and Boyd, 1961.
- Bernard Pingaud : *Ecrivains d'aujourd'hui (1940-1960)*. Grasset, 1962.

الأشخاص والأصوات والاطياف

(بترتيب ظهورهم على المسرح)

بيرانجييه : متوسط السن ، مواطن عادى .
المهندس : لا تبدو عليه سن معينة ، كأمثاله من الموظفين .
دافى : فتاة تكتب على الآلة الكاتبة ، الفتاة المتبرجة
التقليدية .

المتشرد : سكران .
صاحب الحانة : متوسط السن ، بدين ، أسمر ، غزير
الشعر .

الوار : ٣٥ سنة ، هزيل ، محمووم ، قاتم الملابس ، فى
حداد .

البوابة (يسبقها « صوت البوابة ») : نموذج البوابة .
صوت كلب البوابة .

صوت رجل .

صوت رجل ثان .

صوت سائق سيارة نقل .

صوت سائق سيارة .

الشيخ الاول .

الشيخ الثانى .

البقال .

صوت المدرس فى المدرسة .

صوت اول صادر من الشارع .

صوت ثان (غليظ) صادر من الشارع .

صوت ثالث (نحيل) صادر من الشارع .

صوت رابع صادر من الشارع .

صوت اول صادر من أسفل .

- صوت ثان صادر من أسفل.
 - صوت من اليمين
 - صوت من أعلى
 - صوت من اليسار
 - صوت ثان من اليسار
 - صوت امرأة ، في مدخل البيت
 - طيف راكب موتوسيكل
 - صوت الساعى ، يسبق ظهور الساعى نفسه
 - الام ((ييب))
 - صوت الجمهور
 - السكر ، كامل الهندام ، وعلى رأسه قبعة مرتفعة
 - السيد العجوز ذو اللحية الصغيرة البيضاء
 - الشرطى الاول
 - جندى شاب يحمل باقة من الزهر
 - الشرطى الثانى
 - الصدى
 - القاتل
-

ارشادات للاخراج

كثير من هذه الأدوار يمكن أن يؤديه نفس الممثلين . ومن ناحية أخرى ، فإن الأصوات التي في الفصل الثاني لا تسمع كلها طبعاً . في الجزء الأول من الفصل الثاني ، للمخرج أن يحذف ما يشاء ، وأن يقصر اختياره على ما يرى فيه قوة التأثير من تلك الأصوات ، والنوادر غير المعقولة . ولكن على المخرج أن يستخدم - إذا أمكن - وسائل تثبيت الأصوات . ويستحسن أيضاً ، في نفس هذا الفصل الثاني ، اظهار أكبر عدد ممكن من الأطياف ، من الجانب الآخر للنافذة ، وكأنها على مسرح وراء مسرح . وعلى كل حال ، بعد رفع الستارة عن الفصل الثاني ، لابد من أقوال وأصوات حول المنظر الخالي - بضع لحظات على الأقل - لكي يمتد ويزداد على هذا النحو ذلك الجو البصري والسمعي المشاعرج ، وللمدينة الذي يتجلى في آخر الفصل الأول ، وينظمس بعد وصول بيرانجيه ، ثم يسود من جديد في عنف منذ بداية الفصل الثالث حتى يبتعد نهائياً في الختام .

ومن المستطاع أيضاً حذف قطع من الفصل الأول ، بحيث يبقى الممثل المضطلع بهذا الدور على ما يجيد التعبير عنه ، حسب قدرته وحسب طبيعته .

وخطاب بيرانجيه للقاتل ، في آخر المسرحية ، بمثابة فصل قائم بذاته . وينبغي أن يدعم النص تمثيل يبرز تلحليج بيرانجيه التدريجي ، وتحلله ، وخواء فلسفته الأخلاقية الجوفاء التي يقلب عليها الابتذال ، والتي تتلاشى كالهواء المخزون عندما تفش الكرة . وفي الواقع ، أن بيرانجيه يجدفى نفسه ، وبالرغم من نفسه ، وضد نفسه ، حججاً تؤيد القاتل^(١)

لا يوجد أى منظر ، خشبة المسرح خالية عند رفع الستارة .

على المنصة لن يطرأ فيما بعد ، من الناحية اليسرى ، سوى كرسيين من كراسى الحدائق ومنضدة يحضرها المهندس بنفسه . (ينبغى أن نكون بين « الكواليس » فى مكان قريب .)

فى الفصل الاول ، يبعث الجو بالنور . لاغير . فى البداية ، وخشبة المسرح لا تزال خالية ، يكون النور رماديا كأنه ضوء نهار من أيام نوفمبر أو فبراير بعد الظهر ، وقد تلبدت السماء بالغيوم . صوت هبوب الريح خفيفا ،

ولعل الناظر يرى ورقة ذابلة من أوراق الشجر تخترق المنصة ، متطايرة ، من بعيد ، ضجيج « ترام » ، وظلال غامضة لبيوت تتوارى على حين غرة ، اذ تضاء خشبة المسرح بشدة : أنه نور قوى جدا ، ناصع جدا ، هناك هذا النور الساطع ، وهناك أيضا زرقة السماء الواضحة الفزيرة . وهكذا ، بعد الجو القاتم : يجب أن

تصب الاضاءة هذا البياض وهذا الزرقة ، منشئة بذلك العنصرين اللوحيدين لهذا المنظر الذى يتألف من النور . لقد انقطع ضجيج « الترام » وعصف الريح أو خريف المطر فى نفس اللحظة التى حدث فيها تغير الاضاءة . وعلى الزرقة والبياض والسكون وخشبة المسرح

الخالية أن تشيع فى النفوس طمأنينة عجيبة . ولهذا الفرض ينبغى أن يمنح النظارة من الوقت ما يتيح لهم ذلك الشعور . لا يجب أذن أن يظهر

الأشخاص على خشبة المسرح الا بعد انقضاء دقيقة وافية .

يدخل أولا « بيرانجيه » من الناحية اليسرى ، مهرولا % ويقف وسط المنصة ، ويستدير في مكانه بحركة سريعة % ملتفتا نحو اليسار ، من حيث يقبل ، في مشية رزينة % المهندس المعماري ، الذي يتبعه . « بيرانجيه » ، في هذه اللحظة ، يرتدى معطفا رماديا % وقبعة ، وملفعة . أما المهندس فيرتدى سترة خفيفة ، وقميصا مفتوحا حول العنق ، وليس على رأسه قبعة . وهو يتأبط حافظة أوراق ، بادية الثقل والكثافة ، تشبه حقيبة « ادوار » في الفصل الثاني .

بيرانجيه : ... عجيب ! عجيب ! شيء مذهش ! في رأيي ان هذا من قبيل المعجزات ... (حركة احتجاج غير صريحة من جانب المهندس) المعجزات أو ، اذا شئت - لأنك ، بلا شك ، ذو عقلية « لا دينية » - ان هذا من قبيل الابداع ! اني أهنتك بحرارة ، أيها السيد المهندس ، فهذا شيء رائع ، رائع ، رائع ... حقا !

المهندس : أوه .. يا سيدى العزيز ..

بيرانجيه : بلى ، بلى .. انى حريص على أن أهنتك . هذا شيء بالضبط لا يصدق ، لقد حققت شيئا لا يصدق ! الواقع الذى يفوق الخيال !

المهندس : انى اتقاضى مرتبى لكى أقوم بهذا العمل ، انه يدخل في دائرة اختصاصاتى العادية ، انها مهنتى ..

بيرانجيه : طبعاً ، طبعاً ، يا سيدى المهندس ، هذا مفهوم ، انك صانع فنى حشوه موظف أمين .. ومع ذلك ، فهذا لا يشرح كل شيء . (ناظرا حوله ومحدقا في مواضع محددة

من خشبة المسرح) ما أجمل هذا ، يا له من عشب ناضر ،
وهذا الحوض المزهر .. آه ! هذه الازهار الشهية كالخضر ،
وهذه الخضر الشذية كالازهار .. وبالسمااء الزرقاء ،
يا للسمااء الزرقاء العجيبة .. ما أبدع الجوى ! (الى المهندس)
فى جميع مدن العالم ، جميع المدن التى تبلغ قدرا من الاهمية ،
لابد أن هناك ، بطبيعة الحال ، موظفين ، مهندسين من
مهندسى البلدية ، مثلك ، رؤساء مهندسين لهم اختصاصاتك ،
ويتقاضون مرتبات مثلك . هيهات أن يصلوا الى مثل هذه
النتائج . (يشير بيده) هل يدفعون لك مرتبا مجزيا ؟
اعتذرئى ، فقد أكون متطفلا ..

المهندس : عفوا ، لا تعتذر .. انهم يدفعون لى مرتبا
متوسطا ، حسب نص الميزانية . وضع سليم . تقدير
لا بأس به .

بيرانجيه : ولكن براعتك كان يشفى ان تقدر بسهم
الذهب . بل وفوق ذلك يجب أن يكون ذهباً مما قبل سنة
١٩١٤ .. حقيقيا .

المهندس (فى حركة احتجاج وتواضع) : أوه ..
بيرانجيه : بلى ، بلى .. لا تحتج أيها السيد مهندس
البلدية .. ذهباً حقيقيا .. فذهب اليوم انما هو ذهب
مخفض القيمة ، شأنه شأن كثير من الاشياء ، فى زماننا
الجارى ، ذهب من ورق ..

المهندس : ان دهشتك ، ان ..
بيرانجيه : بل قل اعجابى ، قل هيامى !
المهندس : اذا شئت . ان هيامك ، فى الواقع ، يؤثر فى
نفسى . أشكرك على ذلك ، يا عزيزى السيد .. (ينحنى
المهندس شاكرا ، بعد أن بحث فى جيبه عن بطاقة قد قيد
عليها اسم بيرانجيه بلا شك ، لأنه - وهو ينحنى - يقرأ

من البطاقة الاسم الذى ينطق بها) : بيرانجيه .
 بيرانجيه : بكل اخلاص آنا هيمان ، بكل اخلاص ، انى اقسم
 لك على انه ليس من طبعى ان اغدق التحيات .
 المهندس : (يبالغ فى التحية ولكن بتكلف) : اننى ممنون
 جدا ، جدا ، جدا !

بيرانجيه : هذا شيء رائع ! (يسرح البصر حوله) اترى ،
 لقد قالوا لى مع ذلك قولاً مؤكداً ، فلم اصدق الخبر . .
 او بالاحرى لم يقولوا لى شيئاً ، وانما كنت أعلم بالامر ،
 كنت أعلم انه يوجد فى مدينتنا القائمة ، وسط احياء الحداد ،
 والتراب ، والوحل ، هذا الحى الواضح ، هذا القسم الممتاز ،
 بشوارعه المشمسة ، وطرقاته المتلألئة بالنور . . هذه المدينة
 المنيرة فى المدينة ، هذه المدينة التى شيدتها . .

المهندس : لأنها نواة ينبغى - او بالاحرى كان ينبغى ، من
 حيث المبدأ - أن تتسع . لقد قمت بتخطيطها بناء على أمر
 من البلدية . فانا لا ابيع لنفسي أن اخرج بمشروعات شخصية
 بيرانجيه (يواصل حديثه المنفرد) : لقد كنت اومن بهذا
 دون أن اصدق . كنت أعلم بهذا دون أن أعرفه ! كنت
 أخاف الأمل . . « الأمل » ، انه كلمة لم تعد فرنسية ، ولا
 بولونية . . لعلمها بلجيكية . . ولكن هيهات . .
 المهندس : انى فاهم ؟ انى فاهم !

بيرانجيه : وبرغم ذلك ، فها أنا ذا فيها . واقع مدينتك
 المنيرة لا يقبل الجدل . ان المرء ليلمسها باصبعه . هذا
 الضوء الأزرق يبدو كأنه طبيعى تماماً . . زرقة ، وخضرة
 آوه ، هذا العشب ، وهذه الازهار الوردية . .

المهندس : نعم ، هذه الازهار الوردية انما هى ورد .
 بيرانجيه : ورد حقيقى ؟ (يتمشى على خشبة المسرح ،

يشير بأصبعه ، يشتم الأزهار ، الخ .) وهذا مزيد من الزرقة ، ومزيد من الخضرة . . انها ألوان الفرحة . وياله من هدوء ، ياله من هدوء !

المهندس : انها القاعدة في هذه الناحية ، يا عزيزي السيد . . (يقرأ المكتوب على البطاقة) . . بيرانجيه . انه شيء محسوب ، متعمد . لقد قدر ألا يترك شيء للمصادفة في هذا الحي ، فالجو دائما جميل . . ولذلك تباع قطع الأرض - أو على وجه أصح « كانت » تباع - بأثمان مرتفعة جدا . ان « الفيلات » مبنية بأحسن المواد . . انها شيء متين ، متقن الصنع .

بيرانجيه : لا بد ان المطر لا يسقط أبدا في هذه البيوت . المهندس : مطلقا ! هذا أهون الأمور . فهل يسقط المطر في بيتك ؟

بيرانجيه : نعم ، للأسف ، باسيدي المهندس ! المهندس : هذا شيء ما كان ينبغي ان يحدث ، حتى في حيك . سوف أرسل الى هناك أحد رؤساء العمال . بيرانجيه : أعني أن المطر ربما لا يسقط عندي فعلا . انما تلك عبارة كلامية . فرطوبة البيت قد اشتدت كأن المطر يسقط فيه .

المهندس : أرى ذلك ، انه مطر معنوي . على كل حال ، هنا ، في هذا الحي ، لا يسقط المطر أبدا . ومع ذلك ، فكل جدران المساكن التي تراها ، وكل السقوف ، معزولة ، بحكم العادة ، وأرضاء للضمير : انه اجراء لا ينفع ، ولكننا نتخذه جريا على تقليد قديم .

بيرانجيه : أتقول ان المطر لا يسقط أبدا ؟ وهذا النبات ، هذا العشب ؟ والأشجار لا توجد بها ورقة واحدة جافة ، والحدائق لا توجد فيها زهرة واحدة سقيمة !

المهندس : انها تروى من تحت .
يرانجيه : عجب الفن ! اعذر ذهول جاهل مثلى ..
(يرانجيه يحفف بمنديل ما على جبهته من عرق .)
المهندس : الا اخلع معطفك ، ضعه على ذراعك ، لقد
 اشتد عليك الحر .

يرانجيه : بالفعل ، نعم .. ما عدت أشعر بالبرد مطلقا
 ، ، شكرا ، شكرا على نصيحتك . **(يخلع معطفه ، ويضعه
 تحت ذراعه ، ويظل محتفظا بقبضته على رأسه ، واثناء قيامه
 بهذه الحركات يتطلع الى أعلى)** ان اوراق الشجر كبيرة
 الحجم بحيث تدع النور يتسلل وبحيث لا تلقى الظلام على
 الواجهات . انما هذا شيء مدهش اذا ذكرنا ان السماء في
 باقى أجزاء المدينة كلها سماء رمادية كشعر عجوز شمطاء ،
 وان هناك جليدا قدرا على أطراف الارصفة ، وان هنالك
 الريح تعصف . هذا الصباح شعرت ببرد قارس عندما
 استيقظت . كنت مثلوجا . فالمدفآت كثيرة العطب في
 العمارة التى اسكنها ، ولا سيما فى الطابق الارضى . وهى
 تزداد عطبا اذا لم توقد فيها النار . وفي هذا مايدلك على ..
**(نسمع رنين تليفون صادرا من جيب المهندس . المهندس
 يخرج من هذا الجيب سماعة ، يرفعها الى أذنه ، ويظل طرف
 من السلك التليفونى فى الجيب .)**
المهندس : الو ؟

يرانجيه : اعذرنى ، يا سيدى المهندس ، انى اعوقك عن
 اداء عملك ..

المهندس (فى التليفون) : الو ؟ **(الى يرانجيه)** كلا ..
 لقد خصصت ساعة لتزور الحى معى . انك لا تزعجنى على
 الاطلاق . **(فى التليفون)** الو ؟ نعم انا على علم بهذا . اخطروا
 الوكيل . وهو كذلك . فليحقق ، ما دام مصرا على هذا

الرأى . فليتخذ الاجراءات . اننى مع السيد بيرانجيه لزيارة المدينة المنيرة . (يعيد الجهاز الى جيبه . ثم يخاطب بيرانجيه ، الذى ابتعد عنه بضع خطوات هائما مفتونا) ماذا كنت تقول ؟ هيه ، أين أنت ؟

بيرانجيه : هنا ، معذرة . ماذا كنت أقول ؟ آه ، نعم . . . أوه ، أن هذا لا يستحق الذكر الآن .

المهندس : هيا . قل مع ذلك .

بيرانجيه : كنت أقول . . . آه ، نعم . . . فى حى ، وفى بيتى بوجه خاص ، كل شىء رطيب : الفحم ، والخبز ، والريح ، والنبيل ، والجدران ، والهواء ، بل والنار . ما أشد ماعانيت هذا الصباح لكى أنهض ، لقد قمت بمجهود عظيم . كانت عملية شاقة جدا . ولو لم تكن الأغذية كذلك رطبة ، لما حزمت أمري . كنت لا أتصور أننى ، فجأة ، بمثل قدرة السحر ، سأرى بنفسى قلب الربيع ، فى تمام شهر أبريل ،

فى ربيع احلامى . . . اقدم احلامى . . .

المهندس : احلام ! (يهز كتفيه) على كل حال ، كان خيرا لك لو أتيت قبل ذلك ، لو أتيت قبل أن . . .

بيرانجيه (يقاطعه) : أجل ، فقد اضعت وقتا طويلا ، هذا صحيح . . . (بيرانجيه والمهندس يواصلان المشى على خشبة المسرح . على بيرانجيه أن يوحى بأنه يجتاز شوارع فسيحة ، وممرات ، وحدائق . المهندس يتبعه ، بخطوات ابطأ . وقد يعمد بيرانجيه فى لحظات معينة الى أن يلتفت وراءه ليخاطب المهندس بصوت أقوى . ينبغى أن يظهر أنه ينتظر حتى يقترب المهندس . انه يشير بيده ، فى الفضاء) أوه ، يا البيت اللطيف ! الواجهة لذيذة ، يعجبني نقاء الطراز . اهو طراز القرن الثامن عشر ؟ لا ، طراز الخامس عشر ،

ام نهاية التاسع عشر ؟ على كل حال انه « كلاسيك » ،
وخصوصا ، يا لها من اناقة ، يا لها من اناقة .. اجل ، لقد ضيعت
وقتا طويلا ، ترى هل تقدم الوقت جدا ؟ .. لا .. بلى ..
لا ، اظن اننا لم نتأخر أكثر مما يجوز ، ما رأيك ؟
المهندس : انا لم افكر في الموضوع .

بيرانجيه : انى ابلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما ،
يا سيدى المهندس ، خمسة وثلاثين .. اقول لك الحق ؟
انى ابلغ الأربعين ، الخامسة والأربعين .. بل وربما زدت على
ذلك ..

المهندس : (ناظرا الى البطاقة) : نحن نعرف هذا .
فسنك مبينة على بطاقتك . ولدينا جميع الملفات .
بيرانجيه : حقا ؟ .. اوه !

المهندس : هذا شيء طبيعى ، فهى لازمة لنا من اجل
تحقيق الشخصية ، ولكن لا تقلق . ان القاتلون لا ينص على
عقوبات لهذا النوع من التخفى ، من التصايب .

بيرانجيه : آه احسن ! على اى حال ، انا اذا لم اعلن الا
خمس وثلاثين عاما ، فليس هذا على الاطلاق لخداع
مواطنى ، ففيم يعنيهم ذلك ؟ انما هذا لخداع نفسى .
فهذه الطريقة ، اتعاطى الايحاء ، واظن اننى انضر شيئا ،
فازداد عزيمته ..

المهندس : هكذا يفعل البشر ، هذا شيء طبيعى .
(ينطلق رنين تليفون الجيب ، فيتناول المهندس الجهاز .)
بيرانجيه : آه ، يا لهذه الحصباء اللطيفة !

المهندس (فى السماعه) : الو . امرأة ؟ خذوا اوصافها .
سجلوا .. ارسلوا لقلم الاحصاء ..

بيرانجيه (مشيرا باصبعه الى ركن خشبة المسرح ، من
الناحية اليسرى) : ماذا هناك ؟

المهندس (في التليفون) : لا ، لا ، لا توجد تنبيهات أخرى . ما دمت هنا ، لا يمكن ان يحدث شيء آخر . .
(يضع السماعة في جيبه ، ثم يخاطب بيرانجيه) معلرة ، انى أصفى اليك .

بيرانجيه (نفس الحركة) : ما هذا الذى هناك ؟
المهندس : آه ، هذا . . انه بيت زجاجى .

بيرانجيه : بيت زجاجى ؟
المهندس : نعم . للازهار التى لا يلائمها مناخ معتدل ، الازهار التى تحب البرد . اننا نخلق لها مناخا شتويا . ومن وقت الى آخر نسلط عليها عواصف صغيرة .
بيرانجيه : آه ، كل شيء مقدر . . اجل ، يا سيدى ، أنا ربما أبلغ من العمر ستين سنة ، سبعين سنة ، ثمانين سنة ، مائة وعشرين سنة ، من يدرينى ؟
المهندس : معنويا !

بيرانجيه : هذا يترجم ايضا طبيعيا . فعلة البدن من علة النفس . هل أخلط في القول ؟
المهندس : الى حد معقول . مثل جميع الناس .
بيرانجيه : اشعر اننى عجوز . فالزمن معنى شخصى قبل كل شيء . او على الأصح ، كنت اشعر اننى عجوز ، لاننى منذ هذا الصباح انسان جديد . انى متأكد من ان نفسى قد ردت الى ، والدنيا قد صارت هى الدنيا . ان قدرتك هى التى صنعت هذا . نورك السحرى . .
المهندس : اضاءتى الكهربائية !

بيرانجيه : . . مدينتك المنيرة ! (يشير باصبعه الى مدى قريب جدا) انها قدرة هذه الجدران النقية المكسوة بالورد ، تحفتك ! آه نعم ، نعم ، نعم . فلم يضع شيء قط ، اتنى الآن على يقين من ذلك . . غير أنى اذكرك

ان شخصين او ثلاثة اشخاص قد حدثوني ، فعلا ، عن المدينة المشرقة : كان البعض يقولون انها قريبة جدا ، والآخرين يقولون انها بعيدة جدا . وان الوصول اليها سهل وصعب ، وانها حي محظور ..

المهندس : غير صحيح !

بيرانجيه : وانه لا توجد وسائل مواصلات ..

المهندس : هذا غباء . ان محطة الترام هناك ، في آخر الطريق الرئيسي .

بيرانجيه : اجل ، طبعا ، طبعا ! اتلى اعلم ، الآن . لقد مضيت - لمدة طويلة ، اؤكد لك - احاول ، عن وعي أو غير وعي ، ان اجد الاتجاه . كنت امشي حتى آخر شارع من الشوارع ، واذا بي ارى انه ممر مسدود . كنت ادور حول الجدران ، واحاذي الاسوار ، فأصل الى النهر ، بعيدا عن الجسر ، فيما وراء السوق والابواب . او كنت التقى أحيانا ، في بعض الطريق ، باصدقاء لم يروني منذ ايام خدمتنا في الجيش : فكنت اضطر للوقوف كي اثرثر معهم ، ويتقدم الوقت ، ويحين موعد رجوعي . ختما ، دعنا من التفكير في ذلك ، فها انا ذا الآن فيها . اننى مطمئن .

المهندس : لقد كان الامر في غاية البساطة . كان يكفي ان ترسل الى كلمة ، ان تكتب رسميا لادارة البلدية ، فتشولى الاقلام التابعة لى موافاتك ، في خطاب مسجل ، بجميع المعلومات اللازمة .

بيرانجيه : اجل ، انما كان ينبغي ان تخطر لى هذه الفكرة ! على كل حال ، لا ينفع التحسر على السنين المضيعة ..

المهندس : وكيف اهتديت اليوم الى الطريق ؟

بيرانجيه : بمحض الصدفة . لقد ركبت الترام ، بالدات .

المهندس : ألم اقل لك ؟

بيرانجيه : ركبت تراما من فييل الخطأ وانا اريد ان اركب غيره ، وكنت موقنا اننى لم اتجه الاتجاه الصحيح ، ومع ذلك فقد كان هذا هو الاتجاه الصحيح ، عن خطأ ، خطأ موفق سعيد . .

المهندس : سعيد ؟

بيرانجيه : فهل هو غير سعيد ؟ اوه ، بلى ، انه لسعيد وسعيد جدا .

المهندس : على كل حال ، وباختصار ، سوف ترى فيما بعد .

بيرانجيه : لقد رأيت فعلا ما أقنعنى .

المهندس : على كل حال ، اعلم انه يجب ان يذهب المرء دائما الى نهاية الخط . فى جميع الظروف . وكل خطوط الترام تؤدي الى هنا : فانه المخزن .

بيرانجيه : فعلا . لقد تركنى الترام هناك ، فى المحطة . وفى الحال تعرفت - وان كنت لم ارها ابدا من قبل - الشوارع الفسيحة ، والبيوت المزهرة ، وتعرفتك انت الذى كان يبدو عليك انك فى انتظارى .

المهندس : كنت قد اخطرت بقدمك .

بيرانجيه : ما أروع هذا التبدل من حال الى حال ! كأنى قد انتقلت جنوبا الى مكان بعيد ، بعيد ألف كيلو متر أو الفين . كون آخر ، عالم مسحور ! ودون بلوغه ، لا حاجة الى غير هذه الرحلة الصغيرة جدا ، رحلة لا تعتبر رحلة لاننا يمكن ان نقول اننا نقوم بها فى نفس المقام . . (يضحك ، ثم يتعرج :) معذرة عن هذه النكتة الصغيرة السخيفة ، انها ليست لاذعة الفكاهة .

المهندس : هون عليك ! لقد سمعت اسخف منها . انى

اضيف هذا الى حساب فرحتك ..

بيرانيجه : انا لست من ذوى العقليات العلمية . ولهذا بلا شك ، لا أستطيع أن أفسر لنفسي - رغم شروحك الوجيية - كيف يكون الجو صحوا دائما في هذا المكان ! لعل من الاسباب ايضا - ولا بد ان هذا مما يسر لك الامور - ان المنطقة محمية اكثر من سواها ؟ لا توجد تلال مع ذلك ، فيما حولها ، لوقايتها من تقلبات الجو ! على كل حال ، ان التلال لا تطرد السحب ، ولا تمنع سقوط المطر ، يعرف ذلك اى انسان كان . فهل توجد تيارات دافئة ونورانية آتية من جهة اصلية خامسة او من ارتفاع ثالث ؟ لا ، اليس كذلك ؟ على اى حال لو كان ذلك موجودا لعرفه الناس . اننى غبي . فليس يهب هنا اى نسيم ، مع ان الهواء عاطر . انه امر عجيب ، ياسيدى مهندس البلدية ، امر عجيب جدا !

المهندس (مدليا بمعلومات المختص) : لا يوجد اى شيء غير عادى ، والامر كما اقول لك ، انها الصنعة الفنية !! حاول اذن ان تفهم . كان اصلح لك لو درست فى احدى مدارس الشباب . هنا ، بكل بساطة ، جزيرة صغيرة ، مزودة بمراوح خفية اتخذت نموذجا مما فى تلك الواحات المنتشرة فى كل مكان تقريبا .. فى الصحارى ، حيث تطلع عليك ، فجأة ، وسط الرمال الجرداء ، مدائن مدهشة ، تكسوها النورود الندية ، وتمنطقها الينايع ، والانهار ، والنجرات ..

بيرانيجه : آه ، اجل .. هذا صحيح . انك تتحدث عن مدائن تسمى ايضا بالسراب . لقد قرأت بعض روايات المستكشفين عن هذا الموضوع . السراب .. انه حقيقة واقعة ، ازهار النار ، واشجار اللهب ، وغدران النور ،

لا توجد حقائق سواها ، في الواقع ، اننى شديد الاقتناع بها . وهناك ؟ ما هذا ؟

المهندس : هناك ؟ اين هناك ؟ آه ، هناك ؟
بيرانجيه : كأنه حوض . (تظهر الاضاءة ، في مؤخرة المسرح ، شكلا تقريبا لحوض يتجلى في اللحظة التى تلقى فيها الكلمة .)

المهندس : اوه .. طبعا ، اجل . حوض . لقد احسنت الرؤية . انه حوض . (ينظر الى ساعته) اظن انه مازال عندى متسع من الوقت .

بيرانجيه : هل يمكن ان نذهب الى هناك ؟
المهندس : أنت تود ان تراه من قريب ؟ (يمدى يديه للتردد)
طيب . ما دمت حريصا على ذلك . على ان اريك اياه .
بيرانجيه : او بالاحرى .. انى لا ادرى ماذا اتخير ..
فكل شيء بديع جدا .. انا أحب حياض الماء ، ولكنى أحس أن غيضة أشجار « الزعروور » المزهرة هذه تجتذبنى . اذا شئت ، نؤجل رؤية الحوض .

المهندس : كما تشاء !

بيرانجيه : انى أهوى الزعروور .

المهندس : قرن .

بيرانجيه : نعم ، نعم ، هيا الى الزعروور .

المهندس : انى رهن تصرفك .

بيرانجيه : لا يمكن أن ترى كل شيء دفعة واحدة .

المهندس : هذا صحيح جدا . (يختفى الحوض . يخطوان

بضع خطوات) .

بيرانجيه : يا لها من رائحة حلوة ! اتعلم ، يا سيدي

المهندس ؟ انا .. اعذرنى اذ أكلبك عن نفسى .. فالمرء

يستطيع أن يبوح بكل شيء لمهندس ، انه يفهم كل شيء ...

المهندس : تفضل ، تفضل ، لا تتحرج .

بيرانجيه : شكرا ! اتعلم ، ما أشد حاجتى الى حياة أخرى ،
الى حياة جديدة . اطار آخر ، زخرف آخر . . زخرف
آخر ، سستظن أن هذا شيء هين وأن . . امتلاك شيء من المال ،
مثلا . .

المهندس : لا طبعا ، لا طبعا . .
بيرانجيه : بلى ، بلى ، انك جم الادب . . فالزخرف ، ليس
سوى شيء سطحي ، جمالى ، ان لم يكن الامر - كيف
أقول ؟ - أمر زخرف ، جو يلائم حاجة داخلية ، ويكون ،
على نحو ما . .

المهندس : انى أرى ، انى أرى . .
بيرانجيه : انبثاقا ، امتدادا للكون الجوانى . ولكن ،
دون أن يتمكن من الانبثاق ، هذا الكون الجوانى ، لابد له
من عون خارجى يقدمه نور معين موجسود ، طبيعى ،
ينبعث من عالم هو - موضوعيات عالم جديد . حد ثقب ،
وسماء زرقاء ، وريبع ، تناسب الكون الداخلى ، الذى فيه
يستطيع هذا الكون أن يتعرف نفسه ، ويكون كأنه ترجمته
أو كأنه سبقه ، أو مراياه التى فيها يمكن لابتسامته الخاصة
أن تنعكس . . التى فيها يمكن أن يتعرف نفسه ويقول :
ها هو ذا ما أنا عليه فى الحقيقة وما انسيته ، كائن باسم فى
عالم باسم . . الخلاصة أن تعبيرى « عالم داخلى » و « عالم
خارجى » تعبران غير دقيقين ، فلا توجد حدود حقيقية بين
هذين العالمين المزعومين . يوجد حافز أول ، بداهة ، يصدر
عنا ، وحينما يعوزه التعبير الخارجى ، حينما يقصر عن
تحقيق وجوده موضوعيا ، حينما لا يكون الاتفاق تاما بين
« أنا » الداخلى و « أنا » الخارجى ، فانها الكارثة ، انه
التناقض العام ، انه الانفصام .

المهندس (وهو يحك رأسه) : يا لافاظك الفنية ! اننا لا نتكلم نفس اللغة .
بيرانجيه : ما كنت أستطيع أن أواصل العيش ، دون أن أستطيع الموت مع ذلك . لحسن الحظ ، كل شيء سيتغير الآن .

المهندس : رويدك ، رويدك !
بيرانجيه : أعذرنى . انى أنحمس .
المهندس : تلك إحدى الصفات التى تميز طبيعتك . انك من فئة أصحاب الامزجة الشعرية . ولا شك أنه من اللازم وجود أمثالك ، ما دام ذلك موجودا .
بيرانجيه : منذ سنين وسنين ، جليل قدر ، وريح لاذعة ، ومناخ لا يرعى حرمة المخلوقات . . شوارع ، بيوت ، احياء بأكملها ، أهلها ليسوا حقيقة أشقياء ، وانما هم أتعس حالا ، ناس لا هم بالسعداء ولا هم بالاشقياء ، وجوه قبيحة لانها ليست بالقبيحة ولا بالجميلة ؛ كائنات قابعة بين بين ، يأكلها الحنين وليس ما تحن اليه ، كأنها معدومة الوعي ، تتألم بلا وعى من وجودها . أما أنا فكنت أعى ضيق الوجود . ربما لائنى أكثر ذكاء ، أو أقل ذكاء على العكس ، أقل حكمة ، أقل اذعانا ، أقل صبرا . أهذا عيب ؟ أهذه صفة حميدة ؟
المهندس (يؤدي حركات تدل على تفاد صبره) : هذا حسب الموضوع .

بيرانجيه : لا يستطيع المرء أن يعرف . انه شتاء الروح !
أنا أعبر تعبيرا مبهما ، اليس كذلك ؟
المهندس : لا يمكننى أن أقطع برأى . فهذا لا يدخل فى دائرة اختصاصاتى . ان مرفق المنطق هو الذى يتسولى هذا الامر .

بيرانجيه : لست أدري هل يعجبك انطلاقى .

المهندس (بلهجة جافة) : بلى ، وكيف لا يعجبني ؟
بيرانجيه : هو ذاك . هو ذاك : فلقد كانت ، مديما ، في
 نفسى ، تلك البؤرة القوية من الحرارة الداخلية ، الى ما كان
 البرد يستطيع دونها شيئا . كان شباب ، ربيع ما كانت
 نستطيع ان تفضيه فصول الخريف . نور ساطع ، ينابيع
 نورانية من الفرحة كنت اظن انها لن تنضب . لم تكن تلك
 هى السعادة ، فانى اقول : الفرحة ، الهناء الذى كان يجعلنى
 استطيع ان اعيش .. (**رئيس المليونير فى جيب الهندس**) ..
 كانت هناك طاقة ضخمة .. (**المهندس يخرج التليفون من**
جيبه) .. حافر .. لابد ان هذا كان هو الحافر ، الحيوى ،
 اليس كذلك ؟

المهندس (وقد رفع السماعة الى اذنه) : آلو ؟
بيرانجيه : وبعد ذلك ، هذا ، اكل هذا قد انطفأ ، قد
 تحطم ..

المهندس (فى التليفون) : آلو ! عظيم ، عظيم ! ..
 لابد ان هذا لم يبدأ من أمس .
بيرانجيه (يواصل حديثه الفردى) : لابد ان هذا قد بدأ
منذ .. منذ .. ما عدت ادرى متى .. منذ وقت طويل
جدا ، جدا .. (يعيد المهندس وضع السماعة فى جيبه ويؤدى
من جيبه حركات تدل على نفاد صبره ، يذهب الى
((الكواليس)) ، من الناحية اليسرى ، فيحضر كرسيه ويضعه
فى الركن ، الى اليسار ، حيث كان البيت الزجاجى المفروض)
 .. لابد قد انقضت على ذلك قرون .. او ربما فقط بضع
 سنين ، او ربما كان ذلك بالأمس ..

المهندس : أرجو أن تعذرني ، فعندى أمور عاجلة ينبغي
أن أصرفها فى المكتب . اسمح لى بأن أعود الى هناك .
(يخرج من الجهة اليسرى ، تنقضى برهة) .

بيرانجيه (وحده) : أوه .. سيدى المهندس ، حقا انى
اعتذر ، انى ..

المهندس (يرجع ، ومعه منضدة صغيرة يضعها أمام
الكرسى ، ويجلس ، ويخرج جهاز التليفون من جيبه فيضعها
على المنضدة ويبدأ حادثة أوراثة المهندس) : على
بدورى أن أعتذر .

بيرانجيه : أوه ، اننى خجل .
المهندس : هون عليك .. فان لى أذنين : احدهما للعمل ،
والأخرى أخصصها لك . واحدى عينى أيضا لك . والأخرى
للبلدية .

بيرانجيه : أفلا يرهقك هذا ؟
المهندس : لا تقلق . انى معتاد على ذلك . هيا ، اكمل
حديثك .. (يخرج من حافظة الأوراق - أويظهر بأنه يخرج
ملفات يضعها على المنضدة ويفتحها ، ويظهر بأنه يفعل
ذلك) : انى منصرف الى ملفاتى ، واليك أيضا . لقد كنت
تقول أنك لا تدرى الى أى عهد يرجع تاريخ انقطاع حافظك !
بيرانجيه : بالتأكيد ليس من أمس . (يواصل نجوله دائرا
حول المهندس الذى استغرق فى ملفاته) : لقد ابتعد ذلك
العهد حتى كدت أنسى ، حتى ليخيل الى أن الأمر مجرد
وهم ، ومع ذلك فلا يمكن أن يكون الأمر وهما ما دام
غيبابه قد خلف فى نفسى شعورا رهيبا .

المهندس (وهو مستغرق فى ملفاته) : واصل حكايته .
بيرانجيه : لا أستطيع أن أحل تلك الحالة ، بل لست أدرى
ايمكن أن يقف غيرى على التجربة التى عشتها . انها تجربة
لم تنتبنى كثيرا . لقد آلمت بى خمس أو ستمرات ، وربما عشر
مرات ، فى حياتى ، بما يكفى مع ذلك لان تفمر - فرحا وبقينا
- لا ادرى أى خزانات تنطوى عليها الروح . فعندما كنت

أميل الى الكتابة ، اذا بذكرى هذا الاشرار الباهر ، هذه الحالة النورانية ، تبعث في نفسى القوة ، واسباب الحياة بلا اسباب ، وحب .. حب ماذا ؟ حب كل شيء ، فى هيام ..

المهندس (فى التليفون) : آلو ، نفدت الكمية المخزونة !

بيرانجيه : واحسرتاه ، نعم ، يا سيدى .

المهندس (وقد وضع السماعة) : لم أقل ذلك لك ، انه

شيء يختص بملفاتى .

بيرانجيه : وهذا حقيقى ايضا بالنسبة لى ، يا سيدى ، فالخزانات قد فرغت . وأما عن النور ، فبمكن اعتبارى من ذوى الدخل القليل . سأحاول ان اقول لك .. هل أنا أنقل عليك ؟

المهندس : اننى أسجل ، تلك هى مهنتى . أكمل حديثك ،

لا تتخرج .

بيرانجيه : انما كان يحدث لى ذلك فى آخر الربيع ، أو فى أول أيام الصيف ، قرب الظهر ، وكان ذلك يجرى فى صورة بسيطة كل البساطة ، وهى فى الوقت نفسه مذهشة غاية الدهشة . لقد كانت السماء فى صفاء هذه السماء التى عرفت كيف تكسو بها مدينتك المنيرة ، يا سيدى المهندس . أجل ، كان ذلك يجرى فى سكون عجيب ، فى ثانية طويلة جدا من السكون ..

المهندس (وهو لا يزال منصرفا الى ملفاته) : حسن .

عظيم .

بيرانجيه : آخر مرة ، لابد اننى كنت فى السابعة عشرة من عمري ، فى الثامنة عشرة ، وكنت فى مدينة صغيرة من مدن الريف .. ما هى ؟ ماهى ، يا الهى ؟ .. انها فى مكان ما من الجنوب ، فيما أظن .. بالاختصار ، ليس لهذا أهمية ، فالامكنة لا تكاد تعيننا ، وكنت أتمشى فى شارع ضيق ، قديم

وجديد في وقت واحد ، على جانبيه بيوت واطئة ، بيضاء كلها ، قد غابت في أفنية ، أو في حدائق صغيرة ، ذات اسوار من خشب ، قد طليت باللون .. الاصفر الفاتح ، هل كان هو اللون الاصفر الفاتح ؟ وكنت بمفردي في الشارع . كنت سائرا بجذء الاسوار ، والبيوت ، و كان الجو صحوا ، غير شديد الحر ، وكانت الشمس فوق رأسي ، عالية جدا في زرقة السماء . كنت أسير سيرا حثيثا ، نحو أنه غايه لا أعرف الآن . وشعرت شعورا عميقا بالسعادة التي يجدها الانسان في مجرد أنه يحيا . كنت قد نسيت كل شيء ، وما عدت أفكر في شيء الا في تلك البيوت ، تلك السماء العميقة ، تلك الشمس التي بدا أنها قد اقتريت ، وصارت في متناول يدي في هذا العالم الذي شيد على قدي .

المهندس (ناظرا الى ساعته) : انها لم تأت بعد ، ان هذا لشيء غريب ! مزيد من مرات التأخير !
بيرانجيه (مواصلا حديثه) : وفجأة اشتد الفرح ، جارفا كل الحدود ! أوه ، لقد اجتاحتني فرحة فوق كل تعبير ، واشتد سطوع النور ، دون ان يفقد شيئا من رفته ، لقد صار من الفزارة بحيث يمكن استنشاقه ، صار هو الهواء نفسه ، أو شرابا يرشف ، كماء شفاف .. كيف أصف لك البهاء الذي لا مثيل له ؟ .. كأنما كانت تسطع في السماء أربع شمس ..

المهندس (يتكلم في التليفون) : ألو ؟ هل رأيتم « سكرتيرتي » اليوم ؟ هنا الكداس من العمل في انتظارها [١٠]
(يضع السماعة في غضب .)

بيرانجيه : وكان البيوت التي كنت أحاذيها بقع غير مادية على وشك الذوبان في النور الاكبر الذي كان يسود كل شيء .

المهندس : لسوف أصفعها بغرامة رادعة !
 بيرانجيه : انك ترى ماذا اعنى .
 المهندس (شارد الذهني) : تقريبا ، أن عرضك
 للموضوع يبدو لي الآن اوضح .
 بيرانجيه : لم يكن في الشارع رجل ، ولا قطة ، ولا صوت ،
 لم يكن غيري . (رنين التليفون) ومع ذلك ، لم أكن أعانى
 من تلك الوحدة ، فلم تكن تلك وحدة .
 المهندس (في التليفون) : وبعد ، هل وصلت ؟
 بيرانجيه : طمأنينتي ، ونورى الخاص بدورهما تدفقا
 في الدنيا ، رحت اغمر الكون بنوع من الطاقة الجوية . لم
 يكن هناك جزىء من فراغ ، بل كان كل شيء مزيجا من
 الامتلاء والخفة ، توازنا كاملا .
 المهندس (في التليفون) : أخيرا ! دعها تكلمنى .
 بيرانجيه : وانطلقت أشودة النصر تتدفق من اعماق
 كيانى ، فلقد كنت موجودا ، أصبحت اعنى اننى موجود
 من الازل واننى لن اموت .
 المهندس (في التليفون ، كايحا جماح غضبه) : اننى رغم
 ذلك سعيد بان اسمع صوتك ، يا آنسة . انك لم تشعري
 في التبكير . ماذا ؟
 بيرانجيه : كان كل شيء بكرا ، خالصا ، قد ردت اليه
 نفسه ، كنت اشعر بعجب لا وصف له ، يخالطه شعور من
 الألفة القصوى .
 المهندس (في التليفون) : ماذا يعنى هذا ، يا آنسة ؟
 بيرانجيه : هو ذاك ، هو ذاك . . هكذا رحت أقول لنفسي
 . . ولست أستطيع ان أشرح لك ماذا كانت تعنى «ذاك» ،
 ولكنى أوكد لك ، ياسيدى المهندس ، كنت أفهم نفسي
 احسن الفهم .

المهندس (في التليفون) : أنا لا أفهمك ، يا آنسة . ليس لديك أي سبب للتذمر منا . إنما الحال - على الأصح - هو العكس ..

بيرانجييه : كنت أشعر أنني هناك ، على أبواب الكون ، في وسط الكون .. لابد أن هذا يبدو لك تناقضاً !

المهندس (في التليفون) : لحظة ، من فضلك . (إلى **بيرانجييه**) : اني أتبعك ، اني أتبعك ، وأفصل بين الأمور . لا تعلق . (في التليفون) اني انصت .

بيرانجييه : مضيت أسير ، وأجري ، وأصيح : اني موجود اني موجود ، كل شيء موجود ، كل شيء موجود ! .. كان في استطاعتي حقا ان أطيّر من فرط ما أصبحت خفيفا ، أخف من السماء الزرقاء التي كنت أستنشقها .. كان يكفي مجهود هين ، وثبة صغيرة جدا .. لكي أطيّر .. اني واثق من ذلك .

المهندس (يتكلم في التليفون وهو يضرب على المنضدة بقبضة يده) : هذا تجاوز للحدود . ماذا فعلنا لك ؟ **بيرانجييه** : وإذا كنت لم أفعل ذلك ، فلاني كنت في بحبوحه من السعادة ، ولم أعد أفكر في الامر .

المهندس (في التليفون) : تريدان ان تتركى الادارة ؟ فكرى تفكيرا سليما قبل ان تستقيلى . انك تتخلين ، بلا اسباب ونجيهة ، عن سلك وظيفه لامع ! إنما لديك عندنا المستقبل مضمون ، والحياة .. والحياة !! انك لا ترهبين الخطر !

بيرانجييه : وفجأة ، او ، على الأصح ، شيئا فشيئا .. لا ، على الأصح بفتة ، لست أدري ، إنما أدري ان كل شيء قد استحال مرة اخرى رماديا أو شاحبا أو كالحب .. هذا تعبير كلامي ، فقد ظلت السماء صاحبة ، ولكن لم

يكن نفس الصحو ، لم تكن نفس الشمس ، لم يكن نفس الصبحى ولا نفس الربيع . حركة استخفاء حدثت . ولم يعد النور الا نور كل نهار ، نورا طبيعيا .

المهندس (فى التليفون) : لا يمكن الان ان تطيقى هذه الحال؟ هذا تصرف صبيانى . انى ارفض استقالتك . على كل ، تعالى لانجاز كتابة ما عليك من مسائل ، ثم اشرح لى الموضوع . انا فى انتظارك . **(يضع السماعة)**

بيرانجيه : وانفجر فى نفسى نوع من فراغ صااحب ، واستولى على حزن عميق ، كما فى لحظة فراق فاجع لا يطاق . وخرجت النسوة الى افنية البيوت ، وثقبن سمعى بأصواتهن الحادة ، ونبحت كلاب ، وشعرت باننى مهجور وسط جميع هؤلاء الناس ، وجميع تلك الاشياء ..

المهندس : انها تامة اليلاهة . **(ينهض)** هذا شأنها ، على كل حال . هناك من امثالها الف يطلبين وظيفتها .. **(يجلس من جديد)** .. وحياة بلا خطر .

بيرانجيه : ومنذ ذلك الحين ، امتد شهر نوفمبر الابدى ، اصيل دائم ، اصيل الضحى ، اصيل منتصف الليل ، اصيل الظهر . لقد انتهى عهد الفجر ! ويقولون ان هذه هى الحضارة !

المهندس : فلنتظرها .

بيرانجيه : ان الشئ الذى اتاح لى ان اواصل الحياة فى المدينة القاتمة ، هو ذكرى هذا الحادث .

المهندس (الى بيرانجيه) : لعلك مع ذلك قد خرجت من هذا .. من تلك ال .. كآبة ؟

بيرانجيه : خروجى ليس كاملا . ولكنى آليت على نفسى الا أنسى فى أيام حزنى ، أيام هبوطى العصبى أو تحيرى ، سوف اذكر - كما قلت لنفسى - هذه اللحظة النورانية

الخليقة بأن تبعث في الجلد على كل شيء ، والتي لا بد قد كانت سبب وجودي ، ستندى . ومرت سنوات كنت طوالها واثقا ..

المهندس : واثقا من أى شيء ؟

بيرانجيه : واثقا من اننى كنت واثقا .. ولكن هذه الذكرى لم تكن من القوة بحيث تقاوم الزمن ..
المهندس : يبدو لى مع ذلك ..

بيرانجيه : أنك تخطيء ، يا سيدى المهندس . فالذكرى التى احفظها للحادث ما هى الا ذكرى الذكرى ، كفكرة قد أصبحت خارجية بالنسبة لى ، كقصة قد رواها سواى ، صورة ذابلة عجزت عن ان ارد اليها الحياة .. لقد نظب ماء الينبوع ، وكنت اموت عطشا .. ولكن لا بد أنك انت تفهمنى احسن الفهم ، فهذا النور ايضا فى نفسك ، انه نفس النور ، الله نورى ما دمت انت (حركة جلية : يشير الى شيء فى الفضاء) قد اعدت خلقه وجعلته واقعا ماديا . هذا الحى المنير ، انما قد اثبتق منك .. لقد رددت لى نورى المنسى .. او ما يقرب من ذلك . واثقا لاشكر فضلك شكرا لا ينتهى . شكرا بالاصالة عنى ، وبالنيابة عن جميع السكان .
المهندس : طبعا طبعا ، بكل تأكيد .

بيرانجيه : وليس الامر لديك ثمرة غير واقعية لخيال متحمس . وانما هى بيوت حقيقية ، احجار ، طوب ، اسمنت (يلمس شيئا فى الفضاء) ، هذا محسوس . ملموس ، متين . ان منهجك هو السليم ، وطرقك عقلية .
(يتظاهر دائما بأنه يتحسس جدراناً) .

المهندس (متحمسا هو أيضا جدراناً خفيفة ، بعد أن غادر ركنه) : هذا طوب ، نعم ، ومن صنف جيد . هذا اسمنت ، ومن احسن صنف .

بيرانجيه (يأتى نفس الحركات) : لا ، لا ، لا ، ليس الامر مجرد حلم ، فى هذه المرة .

المهندس (يظل يتحسس جدراناً غير مرئية ، ثم يتوقف وهو يرسل زفرة) : ليت كان حلماً ، فربما كان ذلك هو الأفضل . اما بالنسبة لى ، فسيان . اننى موظف . ولكن بالنسبة لكثيرين غيرى ، قد يتحول الواقع - على عكس الحلم - الى كابوس ..

بيرانجيه (يكف ، هو ايضا ، عن تحسس الجدران غير المرئية ، وقد اخذته دهشة شديدة) : فلماذا ؟ ماذا تعنى ؟ (يعود المهندس الى ملفاته .)

بيرانجيه : على كل حال ، اننى سعيد اذ لمست باصبعى واقع ذكراى . انى فى مثل صباى منذ مائة سنة . واستطاع ان اصبح من جديد عاشقا .. (يتجه ناحية الكواليس ، يهينا) يا آنسة ، أيتها الأنسة ، هل تريد ان تتزوجينى ؟ (عند نهاية هذه العبارة الأخيرة بالضبط ، تدخّل من الجهة اليمنى (داني) ، سكرتيرة المهندس الشقراء .)

المهندس (الى داني وهى تدخل) : آه ، ها أنت ذى ، ان علينا ان نتحدث .

داني (الى بيرانجيه) : اترك لى فرصة للتفكير ، على الافل ! المهندس (الى بيرانجيه) : سكرتيرتى ، الأنسة داني . (الى داني) السيد بيرانجيه .

داني (فى شرود ، وشىء من الاضطراب) : تشرفنا ، المهندس (الى داني) : نحن لانحب التأخير ، يا آنسة . فى الادارة . ولا التمدل كذلك .

بيرانجيه (الى داني التى تمشى لتضع آلتها الكاتبة على

المضيفة ونحضر كرسيًا من كواليس الجهة اليسرى :

السه « داني » ، يانه من اسم لسيب ! هل فرت « الان ؟
ان جوابك « نعم » ، أليس كذلك ؟

داني (الى المهندس) : بعد فرت الترحيل ، يا سيدي .
اني في حاجة الى عطلة ، فاني متعبة .

المهندس (بلهجة معسولة) : اذا لم يكن الامر الا هذا ،
يخفى ان خبرينا . يمكن ان نتصرف . هل تريدان عطلة
لمده ثلاثة ايام ؟

بيرانجيه (الى داني) : جوابك « نعم » ، أليس كذلك ؟
... نعم انت حسناء ...

داني (الى المهندس) : ينبغي ان استريح مدة اطول
بشئير .

المهندس (الى داني) : سوف استطلع رأي الادارة
العامه ، انني استطيع ان احصل لك على اسبوع بنصف
المرتب .

داني (الى المهندس) : اني محتاجة لان استريح نهائيا .
بيرانجيه (الى داني) : اني احب الفتيات الشهوات ،
والوجوه المشرقة ، والعيون الزرقاء ، والسيقان الطويلة !
المهندس : نهائيا ؟ عجباً ، عجباً !

داني (الى المهندس) : اني اريد بوجه خاص ان اجد
عملا آخر . فلم يعد في استطاعتي ان اطيق هذه الحال .
المهندس : آه ، هو ذاك اذن ؟

داني (الى المهندس) : نعم ، يا سيدي .
بيرانجيه (الى داني ، بانطلاق) : قلت نعم ! اوه ،
يا آنسة داني ...

المهندس (الى بيرانجيه) : انها لا تخاطبك ، انها تخاطبني .
داني (الى المهندس) : كنت ارجو دائما ان تتغير الحال .

ولكن الامور ظلت في وضعها حتى الآن . واست اري
تحسينا ممكنا .

المهندس : فكرى - اكرر لك ذلك - فكرى ناكيرا سليما .
اذا أصبحت غير موظفة في خدماتنا، لن نتولى الاداره حماينك .
هل تعرفين ذلك ؟ هل تدركين حفا مدى الأخطار التى تتربص
لك ؟

دانى : نعم ، يا سيدى ، اننى فى مكانى ادرى الناس بذلك .
المهندس : فهل تتحملين تبعه ما تتعرضين له ؟
دانى : انى اتحملها ، نعم يا سيدى .
يرانجيه : أجيبينى بنعم أنا أيضا . ما الطفاك اذ تقولين
نعم .

المهندس (الى دانى) : انى أتخلى اذن عن كل مسئولية .
ها أنت ذى على بينة .

دانى (الى المهندس) : لست صماء ، لقد فهمت ، لاداعى
لأن تكرر لى القول ستة وثلاثين ألف مرة !
يرانجيه (الى المهندس) : ما أرقها ! عذبة ! (الى دانى)
يا آنسة ، سوف نتمكن هنا ، فى هذا الحى ، فى هذه
« الفيلا » ! سوف نكون أخيرا سعيدين .

المهندس (الى دانى) : انك لا تريدن أن تغيرى رأيك .
ليس كذلك ؟ انها فكرة طائشة !

دانى (الى المهندس) : لا يا سيدى .
يرانجيه (الى دانى) : أوه ، هل قلت لى لا ؟
المهندس (الى يرانجيه) : قالتها لى أنا .
يرانجيه : آه ، انك تطمئننى !

دانى (الى المهندس) : انى أكره الادارة ، وأستنكر احبيكم
الجميل ، ما عدت أطيق الحال ، ما عدت أطيق الحال !
المهندس (الى دانى) : انه ليس حى أنا .

بيرانجيه (الى دانى التى لا تصفى اليه) : أجيبى أيتها
الآنسة الحسناء ، يا دانى الجليلة ، يا دانى الرفيعة ..
دعيني أخاطبك باسم دانى ..

المهندس (الى دانى) : لست أستطيع ان أمنعك من
الاستقالة ، اذهبى اذن ، ولكن الزمى جانب الحذر . هذه
نصيحة ودية أقدمها اليك ، نصيحة أبوية .

بيرانجيه (الى المهندس) : هل منحوك وساما ، تقديرا لما
حققته من هندسة المدن ؟ كان من الواجب أن يفعلوا ذلك .
دانى (الى المهندس) : اذا أردت ، يمكننى أن أنجز كتابة
الرسالة على الآلة الكاتبة قبل أن أمضى .
بيرانجيه (الى المهندس) : لو كنت أنا العمدة ، لمنحتك
وساما .

المهندس (الى بيرانجيه) : شكرا . (الى دانى) شكرا ،
ليس ما يدعو ، سوف أتصرف .

بيرانجيه (وهو يشم زهورا خيالية) : ما أجمل هذا
العطر ! أهى زئابق ؟
المهندس : لا ، بنفسج .

دانى (الى المهندس) : لقد عرضت عليك ذلك من قبيل
المجاملة .

بيرانجيه (الى المهندس) : هل أستطيع أن أقدم شيئا
منها لدانى ؟
المهندس : اذا شئت .

بيرانجيه (الى دانى) : انك لاتعلمين يا صديقتى العزيزة ،
يا عزيزتى دانى ، يا خطيبتى العزيزة ، كم كانت وحشتى
بدونك !

دانى : اذا كان الأمر هكذا .. (فى شيء من الاحتداد ،
تتناول آلتها الكاتبة ، وتسوى أدواتها بحركات فجائية) .

بيرانجيه (الى داني) : لو رضيت ، لأقمنا في مسكن فاخر ، تملؤه الشمس .

داني (الى المهندس) : ينبغي على كل حال أن تفهم أنني لن أستطيع بعد ذلك مشاطرة المسئولية . فهذا شيء يفوق قواي .

المهندس : الإدارة غير مسئولة .

داني (الى المهندس) : كان يجب أن تدركوا . .

المهندس (الى داني) : ليس لك أن تقدمي الى نصائح . هذا شأنى . ولكن ، مرة أخرى ، الزمى جانب الحذر !

داني (الى المهندس) : ولا أنا على أن أصفى لنصائحك . هذا شأنى أنا أيضا .

المهندس (الى داني) : حسنا ، حسنا ، حسنا !

داني : الى اللقاء ، أيها السيد المهندس .

المهندس (الى داني) : وداعا .

داني (الى بيرانجيه) : الى اللقاء يا سيد .

بيرانجيه (جاريا نحو داني ، التي تهتم بالخروج من الناحية

اليمنى) : داني ، يا آنسة ، لا ترحلى قبل أن تعطيني الجواب . . وتخذى هذه الزهرات من النرجس ، على الأقل !

(داني تخرج . وما زال بيرانجيه ، خائر الذراعين ، على

مقربة من مكان خروجها .) أوه . . (يخاطب المهندس)

انت يا من تعرف القلب البشرى ، حين لا تجيب امرأة بشعم

أو لا ، فان هذا يعنى « نعم » ، اليس كذلك ؟ (الى اليمين ،

في اتجاه الكواليس) لسوف تكونين ملهمنى ، لسوف

تكونين عروس شعري . لسه فاعمال . (يبتسمها ويهيم صدى

غير واضح يردد هذين القطعين الآخرين ، بخطو بيرانجيه

نحو المهندس ويشابي في الفضاء) . لست أعدل عن قرأرى .

سأسكن هنا ، مع داني . سوف أشتري هذا البيت الأبيض

الذى يتوسط الخضرة ، والذى يبدو كأن من أنشأوه قد هجروه ... ليس لدى كثير من المال ، فامنحنى تسهيلات فى الدفع .

المهندس : ان لم تزل حريصا على ذلك ! ان لم تغير قريبا رايك .

بيرانجيه : انى لحريص على ذلك . ولماذا أغير رايى ؟ اننى أريد أن أكون ، باذنك ، واحدا من مواطنى المدينة المثيرة . سأنتقل اليها منذ غد ، ولو لم يكن البيت قد تم اعداده .

المهندس (ينظر الى ساعته) : الثانية عشرة وخمس ونلاتون . (فجأة ، وقع حجر يسقط على بعد خطوتين من بيرانجيه ، بينه وبين المهندس .)

بيرانجيه : أوه ! (يتراجع بيرانجيه قليلا) حجر ! المهندس (بلا دهشة ولا انفعال) : نعم . حجر ! بيرانجيه (ينحنى ، يلتقط الحجر ، ينهض ، ويتأمله فى يده) : هذا حجر !

المهندس : ألم تر فى حياتك مثله ؟ بيرانجيه : بلى .. بلى .. كيف ؟ هل يلقون علينا أحجارا ؟ المهندس : حجرا ، حجرا واحدا ، لا أحجارا ! بيرانجيه : انى فاهم ؟ القوا علينا حجرا . المهندس : لا تقلق . أنت لن تترجم . هل اصابك الحجر ؟ لا ، اليس كذلك ؟

بيرانجيه : كان يمكنه أن يصيبنى . المهندس : كلا ، كلا ، وهل يعقل هذا ؟ انه لا يمكنه ان يصيبك . اتما هذا لمعاستك .

بيرانجيه : آه ! حسنا .. اذا كان المقصود هو معاكستى فقط ، فلنقبل الدعابة ! (يفلت الحجر من يده .) انا لست

شرس الطبع . وخصوصا في هذا الاطار ، لا يمكن لشيء أن يعكر على النفس صفوها . هي ستكتب لى ، أليس كذلك ؟ (يتطلع الى كل ما حوله في شيء من القلق .) المكان هنا يشيع راحة كبيرة ، هذا تأثير متعمد . على أنه أكثر من اللازم قليلا ، فما قولك ؟ ولماذا لا نرى احدا على الاطلاق في الشوارع ؟ اننا حقا المتنزهان الوحيدان ! . . آه ، نعم ، بلا شك ، ذلك لأنها ساعة الغداء . والناس جميعا قد جلسوا الى مواثدهم . ولكن لماذا لا تسمع ضحكات من يتناولون الطعام ، وصلصلة البلور ؟ لا ضجة ، لا همسة ، ولا صوت انسان يفنى . وجميع النوافذ مغلقة ! (يلقى نظرة تعجب على خشبة المسرح الخالية .) فأتنى أن لاحظ ذلك . في حلم من الاحلام ، هذا شيء يمكن فهمه ، أما في الواقع . .

المهندس : مع ذلك ، فهو شيء كان يسترعى الانتباه !
(يسمع صوت زجاج يتكسر .)
بيرانجيه : ما الذى يجرى أيضا ؟

المهندس (وهو يتناول من جديد جهاز التليفون من جيبه ، يخاطب بيرانجيه) : شيء بسيط ، الا تعرف ما هذا ؟ زجاج نافذة تكسر . لا بد أن حجرا قد اخترقه . (للمرة الثانية ، صوت زجاج يتكسر ، يشهد تراجع بيرانجيه ، ويتكلم المهندس فى التليفون .) تكسر زجاج نافذتين .

بيرانجيه : ما معنى هذا ؟ دعابة ، أليس كذلك ؟ دعابتان !
(حجر آخر يسقط قبعة بيرانجيه ، فيلتقطها مسرعا ، ويهيد وضعها على رأسه ، وهو يصيح) : ثلاث دعابات !

المهندس (يهيد الجهاز الى جيبه ، مقطبا حاجبيه) : اصغ الى يا سيدي . نحن لسنا من رجال الاعمال ، اننا موظفون ، اننا اداريون . على أذن أن أقول لك ، رسميا ، إداريا ، أن البيت الذى يبدو مهجورا ، إنما هو فى الواقع بيت

قد هجره من انشاؤه . لقد اوقفت الشرطة جميع عمليات البناء . كنت على علم بهذا القرار من قبل . ومن جهة اخرى ، تلقيت الآن تليفونيا ما يؤكد .

بيرانجيه : كيف هذا ؟ لماذا ؟

المهندس : اجراء لالزوم له على اى حال ، لان احدا لم يعد يرغب - باستثنائك أنت - فى شراء قطع الارض . واظن أنك على غير علم بالموضوع . . .

بيرانجيه : أى موضوع ؟

المهندس : لقد بلغ الامر الى حد أن سكان الحى يودون ان يفادروه . . .

بيرانجيه : يفادرون الحى المنير ؟ السكان يريدون ان يفادروا . . .

المهندس : نعم . انهم لا يجدون لسكناهم مكانا آخر . ولولا ذلك لنزحوا جميعا . لعلهم أيضا يحسبون من الكرامة الا يهربوا . ويفضلون ان يظلوا مختبئين فى دورهم الجميلة . انهم لا يخرجون منها الا فى حالات الضرورة القصوى ، متكتلين جماعات من عشرة أشخاص أو خمسة عشر شخصا . بل وفى تلك الحال ، ليس الخطر مستبعدا . . .

بيرانجيه : عن أى خطر تتحدث ؟ هذه دعاية اخرى ، أليس كذلك ؟ . . . ما بالك تصطنع كل هذه الصرامة ؟ أنك تلقى ظلاما على منظر الطبيعة ! أتريد أن تخوفنى ؟

المهندس (فى وقار) : الموظف لا يمزح .

بيرانجيه (محزونا) : فما هذا الذى تحكيه اى ؟ لقد أصبت قلبي . انما أنت الذى رميتنى الآن بحجر . . . معنويا ، بالطبع ، معنويا ! واحسرتاه ! بعد أن أصبحت أحس جذورا تربطني بهذا المنظر ! انه لا يقدم لى الآن الا ضوءا ميتا ، انه لم يعد بالنسبة لى سوى إطار فارغ . . . أحس أننى خارج كل شيء !

المهندس : انى آسف لذلك . لا تترنح ! تماسك !
 بيرانجيه : انى ارى فى المستقبل اسوء مروه .
 المهندس : انى اسف لذلك ، انى اسف بديك (أثناء الحوار
 السابق والسالى ، على التمهيل الا يتجرد من سحره حبيبه ،
 لا يسيها فى اللحظات العاطفيه ، لى يوارىها .)
 بيرانجيه : اننى أحس من جديد بالليل الداخلى يجتاحنى !
 المهندس (بلهجه جاده) : انى اسف ، لذلك ، انى آسف
 لذلك !

بيرانجيه : أفصح ، انى أتوسل اليك . أنا الذى كنت أمل
 أن أفضى نهارا طيبا ! . ما كان أسعدنى ، منذ بضع لحظات !
 المهندس (وهو يشير بأصبعه) : أترى هذا الحوض ؟
 (يعود الحوض الى الظهور ، بصورة واضحة فى هذه المره .)
 بيرانجيه : انه الحوض الذى مررنا بجواره الآن !
 المهندس : كنت أريد أن أريك . . غير أنك فضلت الزعرور
 . . (يشير الى الحوض مرة أخرى .) ههنا ، فى داخل هذا
 الحوض ، يوجد كل يوم عدد منهم ، اثنان أو ثلاثة ، غرقى !
 بيرانجيه : غرقى ؟
 المهندس : تعال وانظر بنفسك ، أن كنت لا تصدقنى .
 اقترب ، اقترب !

بيرانجيه (متجها مع المهندس نحو الموضع المشار اليه أو
 متقدما نحو الجمهور ، بينما تظهر الأشياء التى تذكر فى الحوار
 كلما ورد ذكرها .) : فلنقترب !
 المهندس : انظر . ماذا ترى ؟
 بيرانجيه : يا أيتها السماء !

المهندس : لا تستسلم للاغماء ، تماسك ، انك رجل !
 بيرانجيه (بعناء) : الملح . . هل هذا ممكن ؟ . . أجل ،
 الملح على سطح الماء ، جثة صبي صغير وسط عجلته . . فلام

صغير في سن الخامسة أو السادسة . . انه يمسك بعصا صغيرة في يده المتشنجة . . والى جانبه جثة ، منتفخة جدا ، لضابط من سلاح المهندسين ، في كامل زيه . .
المهندس : بل توجد اليوم ثلاث جثث (يشير بأصبعه .)
هناك !

بيرانجيه : تلك أعشاب مائية !

المهندس : دقق النظر .

بيرانجيه : يا الهى ! . . نعم . . انى أرى ! انه شعر احمر يطفو من القاع ، شعر معلق على الرخام المحيط بالحوض .
يا للفظاعة ! انها امرأة ، بلا شك .

المهندس (يهز كتفيه) : طبعا . والآخر ، رجل . والآخر ، طفل . لا نعرف عنهم أكثر من ذلك ، نحن ايضا .
بيرانجيه : ربما كانت أم الصبى ! مساكين ! لماذا لم تقل لى ذلك من قبل ؟

المهندس : فانى أقول لك انك طول الوقت قد منعتنى .
وانك طول الوقت كنت مجنوبا بجمال المنظر !
بيرانجيه : مساكين ! (بعنف) من فعل هذا ؟
المهندس : المجرم ، السفاح . . نفس الشخص دائما . ولا سبيل الى اعتقاله !

بيرانجيه : انما حياتنا مهددة ! فلنمض ! (يفر ، يجرى بضعة امتار على خشبة المسرح ، ثم يعود نحو المهندس الذى لا يتحرك .) فلنمض ! (يفر بيرانجيه . لا يفعل سوى ان يدور حول المهندس الذى يخرج سيجارة ويشعلها ، يسمع طلق نارى .) أطلق الرصاص !

المهندس : لا ترع ! فى صحبتى ، لن تتعرض لكروه .
بيرانجيه : وهذا الطلق النارى ؟ أوه ، لا . . لا . . انا غير مطمئن ! (بيرانجيه يضطرب ويرتعد)

المهندس : هذا للمزاح .. نعم .. الآن ، هلمنا للمزاح ،
لعاكستك ! اننى مهندس المدينة ، موظف من هيئة البلدية ،
وهو لا يتصدى للإدارة . عندما أحال الى المعاش ، سيتغير
الوضع ، ولكن ، فى الوقت الحاضر ..

يرانجيه : فلنمض . فلنبتعد . اننى عجل الى مفادرة حيك
الجميل ..

المهندس : انظر ! ها انت ترى أنك غيرت رأيك !

يرانجيه : لا يجب أن تفضب منى !

المهندس : سيان عندى . انا لم يطلب منى أن أعبد
متطوعين إجباريا ، وأن أكرهم على حرية السكن فى هذا
المكان . ليس احد ملزما بأن يعيش فى خطر ، اذا كان لا يحب
ذلك ! .. سوف نهدم الحى بعد أن يهجره أهله .

يرانجيه (وما زال يسرع ، وهو يدور حول المهندس) :
سيهجره أهله ؟

المهندس : سوف ينتهى الامر بالناس الى أن ينزحوا عنه ..
أو سيكونون فى ذلك الحين قد قتلوا جميعا . 'وه ، سوف
يستغرق هذا بعض الوقت ..

يرانجيه : فلنرحل ، فلنرحل بسرعة (يدور دورته
المتصلة ، فى سرعة اترايد باطراد ، حانى الرأس) ليس
الأغنياء دائما سعداء ، لا هم ، ولا سكان الأحياء الراقية ..
ولا المنيرة ! .. لا وجود للاهالى المنيرة ! .. بل أن حالهم شر
من حال الآخرين ، من حالنا نحن النمل ! .. آه ، يا سيدى
المهندس ، ما أشد كربى ! أحس اننى مقروح ، عنهلك ! .. لقد
عاودنى تعبى .. ان الوجود باطل ! ما جدوى كل شئ ، ما
جدوى كل شئ ان لم يكن الا ليبلغ بنا هذا المصير ؟ امنع هذا ،
امنع هذا أيها السيد المأمور .

المهندس : كلام سهل أن يقال .

بيرانجيه : بلا شك ، هل أنت أيضا مأمور الحى ؟
المهندس : فعلا ، انى أقوم أيضا بهذه الوظيفة . كأتى
مهندس متخصص .

بيرانجيه : اظن انك تأمل أن تقبض عليه ، قبل احوالك الى
المعاش ؟

المهندس (متضايقا فى برود) : انك لتقدر اننا نبذل كل ما
نستطيع ! . انتبه ، ليس الطريق من هنا ، سوف تضل
سبيلك ، انك تدور طول الوقت فى نفس الدائرة ، وتعود طول
الوقت ادراجك !

بيرانجيه (يشير باصبعه ، الى موضع قريب منه جدا .) :
آى ! اما زال هذا هو نفس الحوض ؟
المهندس : انه يكتفى بواحد .

بيرانجيه : أهؤلاء هم نفس الفرقى الذين رأيناهم ؟
المهندس : ثلاثة فى اليوم ، ذلك متوسط لا بأس به ، دعنا
من المبالغة !

بيرانجيه : ارشدنى الى الطريق ! . فلنخرج ! .
المهندس (يمسك بذراعه ويؤشده .) : من هنا !
بيرانجيه : بعد أن بدىء اليوم هذه البداية السعيدة ! سوف
أرى دائما هؤلاء الفرقى ، لن تفارق الصورة ذاكرتى !
المهندس : يالك من طبع شديد الانفعال !

بيرانجيه : فليكن ، خسر أن نعرف كل شيء ! (تغيير فى
الاضاءة . نورقاتهم ، وجلبة خفيفة مصدرها الشارع والترام .)
المهندس : انتهينا . لم نعد الآن فى المدينة المنيرة ، لقد
اجتزنا السور . (يدع ذراع بيرانجيه) اننا فى الشارع
المحطة .

بيرانجيه : أين هذا ؟
المعمومي الخارجى . أترى ، هناك ؟ ذاك ترامك . هذه هى

المهندس : هناك ، حيث يوجد أولئك الناس الذين ينتظرون .
 انه آخر الخط . والترام يستأنف سيره في الاتجاه العكسي ،
 وينقلك رأسا الى طرف المدينة الآخر ، حيث تسكن !
 (يستطيع الناظر أن يلمح ، على امتداد البصر ، بعض الشوارع
 تحت سماء تنثر بالمطر ، وأطرافاً ، وأنواراً حمرأء غير محددة ،
 على مصمم المناظر أن يسعى الى أن يتحول كل شيء ، بتدرج
 يسير ، الى مزيد من الواقعية . وينبغي أن يحدث التغير عن
 طريق الإضاءة ، وقليل جداً من عناصر المناظر ، هي لافتات
 وإعلانات ضوئية - أحداها لافتة حانة ، الى اليسار -
 يجب أن تظهر تدريجياً ، واحدة بعد الأخرى ، ولا يزيد
 مجموعها على ثلاث أو أربع) .

بيرانجيه : أنا مثلوج .

المهندس : فعلا ، انك تنتفض !

بيرانجيه : انه الانفعال .

المهندس : والبرد أيضا . (يمد يده ليحس قطرات المطر .)
 السماء تمطر . ماء يخالطه جليد . (بيرانجيه يكاد ينزلق)
 انتبه لثلاث تنزلق ، فالرصيف مبتل . (بيرانجيه)

بيرانجيه : شكراً .

المهندس : البس معطفك . ستصاب بالزكام .

بيرانجيه : شكراً . (يرتدى معطفه ، ويعقد ملفه حول

عنقه في لهفة المدهوم) . برررر . . وداعاً يا سيدى الأمور .

المهندس : انك لست عائداً في الحال الى بيتك ! ليس

أحد في انتظارك . لديك من الوقت ما يكفي لتناول شراب

ينعشك . هيا ، لا ترفض ، هذا هو الموعد الذى اتناول فيه

فاتح الشهية . توجد حانة ، هناك ، بالقرب من المحطة ،

على بعد خطوتين من الجبانة ، وفيها تباع أيضا أكاليل

الأزهار .

بيرانجيه : يبدو لي أنك استعدت صفوك . أما أنا ، فلا .
المهندس : أنا لم أفقده أبدا .

بيرانجيه : رغم ..
المهندس (معاطفا ، بينما يظهر لافتة الخانة) : ينبغي أن
ننظر الى الحياة مواجهة ، كن واقعيا ! (يضع يده على مبيض
باب خيالي ، تحت لافتة الخانة) فلندخل داخل الدكان .
بيرانجيه : لا أكاد أشعر برغبة ..
المهندس : هيا ، تفضل .

بيرانجيه : بعدك ، يا سيدي الأمور .
المهندس : تفضل ، تفضل . (يدفعه . صوت باب الخانة .
يدخلان الخانة : ويمكن أن تكون ذلك الركن من خشبة المسرح
الذي كان به ، منذ وقت قصير ، بيت النباتات الزجاجي
الخيالي ، ثم مكتب المهندس الخيالي . يهضيان للجلوس على
كرسيين ، امام المنضدة الصغيرة . وتكون جلستهما ،
بلا شك ، الى جانب نافذة الدكان الكبيرة . واذا كانت قد
أزيلت المنضدة والكرسيان - التي سبق ظهورها - يستطيع
صاحب الخانة عندما يظهر أن يحضر مائدة خفيفة من ذوات
المفاصل القابلة للثنى ، كما يستطيع بيرانجيه والمهندس أن
يتناولوا كرسيين من نفس النوع على الارض وينصباهما .)
اجلس ، اجلس (يجلسان) يا لسحتك ! هون عليك ،
لا تكن واجما هكذا ! لو فكر الناس في جميع بلايا الانسانية ،
لما عاش أحد . وينبغي أن نعيش ! في كل وقت هناك أطفال
تدبح ، وشيوخ تجوع ، وأرامل ثكلى ، ويتامى ، ومرضى
يحتضرون ، وأخطاء قضائية ، وبيوت تنهار على سكانها ،
وجبال تسقط .. ومذابح ، وطوفانات ، وكلاب تداس ..
بهذه الطريقة يستطيع الصحافيون أن يرتزقوا . في كل
شيء جانب خير . وجانب الخير هو الذي ينبغي أن تذكره في
آخر الامر .

بيرانجيه : نعم ، يا سيدى الأمور ، نعم . . ولكن بعد أن رأيت هذا عن كثب ، ورأيت به بعيني راسى ، لا يمكننى أن أظل غير مكترث . أما أنت ، فلعلك قد تعودت ذلك ، فى مهنتك المزدوجة .

المهندس : (وهو يربت على كتف بيرانجيه بضربة قوية) : انك شديد التأثر جدا ، وسبق أن قلت لك ذلك . عود نفسك على الأمور . هيا ، هيا ، شيئا من الحزم ، شيئا من الإرادة (يربت على كتفه بضربة أخرى قوية . يكاد بيرانجيه يهوى على الأرض بكروسيه .) يبدو عليك أنك صحيح البنية ، مهما قلت عن نفسك ، ورغم وجهك الكاسف . أنك صحيح العقل والجسم !

بيرانجيه : أنا لا أقول العكس . ان الادواء التى أعانيها ليست ظاهرة ، انها نظرية ، روحية .

المهندس : أفهم هذا .

بيرانجيه : أنك قتهكم .

المهندس : حاشا أن أسمح لنفسى بذلك . لقد مرت على حالات كثيرة مثل حالتك ، بين عملائى .

بيرانجيه : آه أجل ، فانك طبيب أيضا .

المهندس : فى ساعات فراغى . أنا أمارس ما تيسر من الطب العام ، ولقد قمت يوما بعمل محلل نفسانى ، وكنت مساعدا جراح ، وفى شبابى درست أيضا علم الاجتماع . . لا عليك ، سنحاول أن نجد لك ما يعزيك . (مصفقا) يا صاحب المحل !

بيرانجيه : اننى لست متلك انسانا كامل الجوانب . (يسمع صادرا من الكواليس اليسرى ، صوت متشرد)

صوت المتشرد (يفغنى) : بعد ما تركت البـ .. ح .. رية .. رية

تزوجت .. ما .. رية !

صوت صاحب الحانة (صوت غليظ) : حالا ، يا سيدى
المأمور ، (يغير لهجته ، مخاطباً المتشرد وما زال فى الكواليس)
انصرف من هنا ، رح اسكر فى مكان آخر !

صوت المتشرد (صوت مطهوس) : لا لزوم للتعب ، فأنا
سكران فعلاً ! (يظهر المتشرد من الناحية اليسرى ، ثملاً ،
يدفعه بعنف صاحب المحل ، وهو شخص بدين أسمر ، ذو
ذراعين غليظتين يكسوهما الشعر .)

المتشرد : أنا سكرت عندك ، ودفعت ، كان عليك الا تقدم
لى الشراب !

صاحب الحانة : أنزع من هنا ! أنسمعنى ؟ (الى المهندس)
تعظيماتى ، يا سيدى المأمور !

المهندس (الى بيرانجيه) : أترى .. ماعدنا الآن فى الحى
الأنيق ، أخلاق الناس أصبحت أعنف .

المتشرد (وما زال صاحب الحانة يدفعه) : مالك ومالى ؟
بيرانجيه (الى المهندس) : انى لاحظ ذلك .

صاحب الحانة (الى المتشرد) : هيا .. أترى ، السيد
المأمور ، أنه هنا !

المتشرد : أنا لا أسىء لاحد ! (يواصل صاحب الحانة
دفعه ، فيتعثر ، ويسقط بطوله ، وينهض دون أن يحتج .)

المهندس (الى صاحب الحانة) : كأسين من نبيد البوجوليه .
صاحب الحانة : سمعا . لجنابك ، عندى من الأصلى .

(الى المتشرد الذى ينهض) أخرج ، واقفل الباب وراءك ، ولا
ترنى وجهك مرة أخرى ! (يخرج من الناحية اليسرى .)

المهندس (الى بيرانجيه) : ما زلت هامدا ؟
بيرانجيه (يأتى حركة فى شروء ، وهو كاسف البال) :

وماذا أستطيع ؟ (يظهر صاحب الحانة ، ومعه كأسا النبيذ ،
بينهما يمثل المتشرد حركة من يوصد الباب ، ويفادر الرجل .)
صاحب الحانة : ها هما كأساك من البوجوليه ، ياسيدي
المأمور !

المتشرد (يخرج من المسرح ، من الناحية اليسرى ، وهو
يترنح في مشييته ، ويدندن) : بعد ما تركت الب . حربة ،
تزوجت . . ما . . ربه !

صاحب الحانة (إلى المهندس) : هل تريد شيئا يؤكل ،
ياسيدي المأمور ؟

المهندس : أعطنا شطيرتين .

صاحب الحانة : عندي صنف عظيم من «معجون الأرنب» ،
انه مصنوع من لحم الخنزير الخالص ! (يتظاهر بيرانجييه
بانه يريد أن يدفع .)

المهندس (واضعاً يده على ذراع بيرانجييه ليمنعه من
ذلك) : دع ، دع ، الدفع على هذه المرة ! (إلى صاحب
الحانة) على هذه المرة !

صاحب الحانة : حسنا ، ياسيدي المأمور ! (يخرج من
الناحية اليسرى . يتلع المهندس جرعة من النبيذ . أما
بيرانجييه فلن يمس كأسه .)

بيرانجييه (بعد صمت قصير) : على الأقل ، لو كانت عندك
أوصافه !

المهندس : أما أوصافه فعندنا . على الأقل ، تلك الأوصاف
التي يعمل عمله تحت ستارها ! ان صورته ملصقة على كل
الجدران . لقد بذلنا كل ما في وسعنا .

بيرانجييه : وكيف حصلتم على صورته ؟

المهندس : وجدناها في جيوب بعض الفرقى . بل واستطاع
بعض ضحاياه ، ممن أفاقوا لحظة ، أن يقدموا لنا تفاصيل

اضافية . ونحن نعرف أيضا كيف يحتال على الناس .
وجميع أهل الحي ، على أى حال ، يعرفون ذلك .
بيرانجيه : فلماذا ، والأمر كذلك ، لا يشتد حذرهم ؟
ليس عليهم إلا أن يتجنبوه .

المهندس : المسألة ليست بهذه البساطة . تؤكد لك أن
هناك من لازالوا يقعون فى حبائله ، اثنين أو ثلاثة فى كل مساء .
بيرانجيه : أنا لا أستطيع أن أفهم هذا ! (يتلع المهندس
جرعة جديدة من النبيذ . **يحضر صاحب الحانة الشطيرتين**
ويخرج) اننى مذهول .. والقصة ، فيما يبدو ، أقرب الى
اثارة متعتك يا سيدي المأمور .

المهندس : وماذا تريد ؟ انها قصة لاتخلو من طرافة !
تفضل ، هاهو ذا المكان .. انظر من النافذة . (يتظاهر بازاحة
ستارة خيالية ، أو لعل من الممكن ترويض المنظر بستارة مسددة .
يشير المهندس بأصبعه نحو اليسار .) .. ترى .. انه
هناك ، على محطة الترام ، يفعل فعلته . عندما ينزل
الركاب ، راجعين الى بيوتهم - اذ ان العربات الخاصة لاتسير
الا داخل المدينة المنيرة - يذهب نحوهم ، متنكرا فى صورة
متسول . ويثحب ، كما يفعل جميع المتسولين ، ويطلب
الاحسان عليه ، ويحاول أن يستدر عطفهم . يلقى الكلام
المعتاد . انه خارج من المستشفى ، ولم يجد عملا ، ويبحث
عن عمل ، وليس لديه مأوى يقضى فيه الليل . وليس هذا
ما يصيب ، وانما هذا مجرد تمهيد للدخول فى الموضوع .
انه يشتم ، وينتقى النفس الرحيمة ، ويفتح باب الحديث
معه ، ويتعلق ، ولا يفارقها خطوة واحدة . يعرض أن يبيعها
شبتا من سقط المتاع يخرج من سلته ، أزهارا صناعية ،
مقصات ، طاقيات من طراز قديم ، بطاقات .. بطاقات
مصورة من بطاقات البريد .. سجائر أمريكية .. رسوما

صغيرة مخلة بالحياء ، أى شيء كان . وبوجه عام ، ترفض خدمانه % وتسرع النفس الطيبة ، فهي ضيقة الوقت . وفيما هو يساوم ، يصل معها قرب الحوض الذى تعرفه . هناك ، فى الحال ، يستعمل الطريقة الكبرى : يعرض عليها أن يطلعها على صورة الكولونيل . ونلك عدلية لا تخيب . فيما أن نور النهار فى تلك الساعة ضعيف ، تنحنى النفس الطيبة لى نرى بوضوح . وفى هذه اللحظة ، تهاك . فهو ينتهز فرصة

وتفرق . لقد تم له الأمر ، وما عليه بعد ذلك إلا أن يتحرى عن ضحية جديدة .

بيرانجيه : العجيب % هو أن الناس يعرفون ذلك ، ولكنهم يستسلمون للمفاجأة .

المهندس : انه فخ ، ما الحيلة ؟ وهو لم يضبط أبدا متلبسا .

بيرانجيه : شيء لا يصدق العقل !

المهندس : ومع ذلك شيء صحيح ! (يقضم شطيرته)
 ألا تشرب ؟ ألا تأكل ؟ (ضجيج الترام الذى يصل الى المحطة .
 واذا بيرانجيه يشرب متحمسا ، ويهم بازاحة الستارة لى ينظر من النافذة ، فى اتجاه محطة الترام .) انه الترام قد وصل .

بيرانجيه : وجماعات من الناس تنزل منه !

المهندس : أى نعم . انهم سكان الحى . راجعين لبيوتهم .

بيرانجيه : لست أرى بينهم أى متسول .

المهندس : أنت لن تراه فهو لن يظهر . انه يعلم أننا هنا .

بيرانجيه : (وقد أدار ظهره للنافذة ، وعاد ليجلس من جديناحية المهندس ، الذى أدار ظهره بالمثل الى النافذة .)

لعل من الخير أن تأمر بأن يربط ، فى هذا المكان ، ضابط يرتدى الملابس المدنية ، بصفة دائمة .

المهندس : أتريد أن تعلمنى مهنتى ؟ فنيا ، هذا غير ممكن .
فضباطنا مرهقون ولديهم أعباء أخرى . على أى حال . هم
أيضا يتوقون لرؤية صورة الكولونيل . لقد أعرف منهم حتى
الآن خمسة وبهذه الطريقة . آه . . لو كانت لدينا الأدلة ،
لعرفنا أين نجده ! (فجأة ، تنطلق صرخة ، كما يسمع صوت
أصم لجسم يسقط فى الماء) .

بيرانجيه (ينهض واثبا) : هل سمعت ؟
المهندس (جالسا ، يقضم خبزه) : لقد فعل فعلته مرة
أخرى . ها أنت ترى الى أى حد يسهل منعه ! انك لا تكاد
بدير ظهرك ، ثانية واحدة من الففلة ، وإذا الأمر قد وقع
.. ثانية واحدة ، أنه لا يحتاج الى أكثر من ثانية .

بيرانجيه : هذا فظيع ، هذا فظيع ! (تسمع جلبة ،
وأصوات نائرة صادرة عن الكواليس ، وقع أقدام ، وضجيج
سيارة مسرعة من سيارات الشرطة تقف وقوفا مباغتة .)
بيرانجيه (وهو يلوى يديه) : افعل شيئا ما ، شيئا ما . .
تدخل ، تصرف !

المهندس (هادئا ، ولا يزال جالسا ، وقد أمسك الشطيرة
فى يده ، بهت أن احتسى جرعة من النبيذ) : فات الاوان . .
لقد غلبنا هذه المرة أيضا بعنصر المفاجأة . .

بيرانجيه : ربما لم يكن هذا سوى جسر كبير القاه فى
الماء . . بقصد معاكستنا !

المهندس : هذا شيء يدهشنى . والصرخة ؟ (يدخل
صاحب الحانة ، من الناحية اليسرى .) سوف نعرف الآن
كل شيء . هاهو ذا مخبرنا !

صاحب الحانة : انها الفتاة ، الشقراء . .
بيرانجيه : « داني » ؟ الأنسة داني ؟ هذا غير معقول !
المهندس : بلى . ولم لا ؟ انها سكرتيرتى ، سكرتيرتى

سابقا . ومع ذلك وفد الحجت في نصحتها بألا تترك خدمتي .
لقد كانت في مأمن .

بيرانجيه : يا الهى ، يا الهى ، يا الهى !
المهندس : كانت في الاداره ! ولا يتصدى أحد للاداره !
انما لا ، أرادت أن ننال «حريتها» ! فلتتعلم : لقد نالتهما
الآن ، حريتها . كنت أتوقع هذا ..
بيرانجيه : يا الهى ، يا الهى ! المسكينه .. لم يمهلهما
حتى تقول لى « نعم » ؟ ..

المهندس (مواصلا عبارته) : بل كنت متاكدا من أن هذا
لا يد واقع لها ! والا فقد كان عليها ألا تطرق الحى ، منذ
تفارق الادارة ..

بيرانجيه : الأنسة داني !! الأنسة داني !! الأنسة داني !!
(نغمة الانتخاب) .

المهندس (مواصلا حديثه) : آه من جنون الناس عندما
يركبون رؤوسهم ، وخصوصا ، خصوصا جنون الضحايا
الذين يعودون دائما الى مكان الجريمة ! فهذه الطريقة
يقعون في الفخ !

بيرانجيه (يكاد ينهشه) : أووه ! ياسيدى المأمور ، سيدى
المأمور ، انها الأنسة داني ، الأنسة داني ! (يهوى على كرسيه ،
منهرا .)

المهندس (الى صاحب الحانة) : فليفتح المحضر ، شكليا .
(يتناول من جيبه جهاز التليفون .) الو ؟ ... الو ؟ ...
جناية أخرى .. انها امرأة شابة .. داني .. التى كانت
تعمل عندنا .. لا يوجد تلبس .. افتراضات .. هى نفس
الافتراضات .. نعم ! (يضع الجهاز على المنضدة لان :)

بيرانجيه (ينهض فجأة) : لا يمكن ، لا يجوز أن يترك
الأمر هكذا ! لا يمكن أن يستقيم الحال بعد ذلك ! لا يمكن

أن يستقيم الحال بعد ذلك !
المهندس : هدى نفسك . أن الموت مصيرنا جميعا . لا تعقد
ميجرى التحريات !

بيرانجيه (يخرج مهرولا ، ويصفق باب الحانة :) لخيالى ،
الذى يسمع صوته مع ذلك . : لن يستقيم الامر ههنا !
لا بد من عمل شيء ما : لا بد ، لا بد ، لا بد ! (يخرج من المسرح ،
من الناحية اليمنى .)

صاحب الحانة : السلام عليكم ، يا سيد ! (الى المهندس :)
كان يستطيع أن يقول « وعليكم السلام » .

المهندس (جالسا ، يتبعه بنظره ، كما يفعل صاحب
الحانة الواقف ، وقد كتف ذراعيه أو وضعهما حول خصره .
ثم بعد أن يخرج بيرانجيه ، يشرب المهندس في جرعة واحدة باقى
نبيذه ، ويقول لصاحب الحانة وهو يشير الى كأس بيرانجيه
المملوءة :) اشربها ! وخذ الشطيرة أيضا ! (يتناول صاحب
الحانة في مكان بيرانجيه .)

المهندس (فى التليفون) : الو ! لا توجد أدلة ! احفظ
المحضر ! (يعيد الجهاز الى جيبه .)
صاحب الحانة (وهو يشرب) : فى صحتك ! (ويقضم
الشطيرة .)

ستار

الفصل الثانى

المنظر

غرفة بيرانجيه . حجرة معتمة واطئة السقف ، بها ،
مقابل النافذة ، مركز أكثر نورا . وبالقرب من هذه النافذة
العريضة الواطئة ، يوجد صوان . والى يمين الصوان ، ركن
مظلم : فى هذا الركن المظلم جدا ، كرسي كبير من طراز
« عصر الوصاية » ، فى حالة غير جيدة ، وقد جلس عليه ،
هند رفع الستار ، « ادوار » ، صامتا . فى بداية الفصل ،

لا يرى الناظر هذا الشخص ، ولا الكرسي الكبير ، بسبب الظلام الذى يسود غرفه « بيراجيه » الواقعه فى الطابق السفلى . وفى الوسط ، فى الجزء المضيء الى حد ما ، امام النافذه ، منضده نيره ، عايتها دواسر . ووراء ، ونباب ، ومحبرة ، وريشة طريفة للكتابة ، تحاكى ريشه اوزة . كرسى كبير احمر ، بال ، ينقصه احد مسنديه ، موضوع على بعد متر من المنضدة ، الى اليسار . اركان اخرى مظلمه فى الجدار الأيسر .

فى باقى الغرفة ، فى الظل ، يلمح الناظر الأشكال الخارجية لبعض الاتاث القديم : مكتب « سكرتير » عتيق ، و « كومود » يوجد فوقها ، معلقة على الجدار ، سجادة زينة بالية . وهناك أيضا كرسى أو مقعد آخر احمر كبير . بالقرب من النافذة ، الى اليمين ، منضدة صغيرة وكرسى بلا أى مسند ، ورف مزدوج عليه بعض الكتب . وفوق اللوح العلوى جهاز « جراموفون » عتيق .

فى مقدمة المسرح ، نحو اليسار ، الباب المؤدى الى « بسطة » السلم . تتدلى من السقف ثريا قديمة ، وعلى الأرض سجادة كالحة . وعلى الجدار الأيمن ، مرآة ذات إطار مسرف فى الزخرف ، لا تكاد تلمع الا فى بداية الفصل ؛ الى حد أن يستعصى على الناظر أن يعرف بعد ، فى بداية هذا الفصل ، ما هو ذلك الشيء . وفى أسفل المرآة مدفأة قديمة .

من خلال النافذة ، وقد انفرجت ستائرهما ، نرى الشارع ، ونوافذ الطابق الأسفل المقابل ، وجزءا من واجهة محل بقالة .

أن « ديكور » الفصل الثانى ثقيل ، دميم ، يناقض بصورة قوية ما كان فى الفصل الأول من انعدام « الديكور » أو

افتصاره على الاضواء .

عند رفع الستارة ، تضيء النافذة بنور شاحب مصفر ،
مركز على المسرح والمائدة التي تتوسطه . جدران البيت المقابل
لونها رمادي قذر . وفي الخارج الجو معتم ، ويسقط الجليد
ورذاذ من المطر .

أما « ادوار » ، وقد جلس على الكرسي الكبير ، في أشد
أركان حجرة بيرانجيه ظلاما ، الى يمين النافذة ، فلا يراه
ولا يسمعه أحد في بداية الفصل . سوف نراه فيما بعد ،
عقب وصول بيرانجيه ، نحيلاً ، شديد الشسحوب ، كأنه
محموم ، وقد أكتسى بالسواد ، فعلى ذراعه اليمنى شريط
الحداد ، وعلى رأسه قبعة سوداء من اللباد ، وهو ينبس
معطفاً أسود ، وحناءاً أسود ، وقميصاً أبيض ذا ياقة منشاة ،
ورباط عنق أسود . من حين الآخر ، ولكن بعد وصول
بيرانجيه على كل حال ، يسعل « ادوار » سعالاً حاداً أو
خفيفاً ، ويبصق اذ ذاك في منديل أبيض يحبط به السواد ،
ثم يضعه بركة في جيبه . وقبيل رفع الستارة ، ثم عند
رفعها ، نسمع - صادراً عن الجهة اليسرى - أي عند سلم
الدار ، صوت البوابة .

صوت البوابة (تغنى) :

إذا جاء البرد ، ذهب الحر ،

وإذا جاء الحر ، فلأن الدنيا برد !

يا سلام ! مهما كنسنا ، فالمكان قذر طول النهار من تراب
فحمهم ومن جليدهم ! (طريقة الكنيسة التي تصطدم بالباب ،
ثم من جليده نسمع صوت البوابة تغنى :)

إذا جاء البرد ، ذهب الحر ،

إذا جاء الحر ، فلأن الدنيا برد !

إذا جاء البرد ، هل الدنيا حر ؟

إذا جاء الحر ، فهل الدنيا برد؟

فما الجو عندما يجيء البرد ؟

(مع غناء البوابة ، نسمع في الوقت نفسه ضربات مطرقة صادرة عن الطابق العلوي ، وجهاز راديو مفتوحا ، وضجيج سيارات نقل و ((موتوسيكلات)) تقترب تارة وتبتعد تارة أخرى . وفي لحظة معينة ، تنطلق بالمثل أصوات منبثة من فناء مدرسة أثناء فترة ((الفسحة)) . كل ذلك في شيء من التشويه والمبالغة ، فمسيجات التلاميذ ينبغي أن تشبه الهواء : انما المقصود تقبيح الصخب بأسلوب يجعله مبهرجا ومضحكا في آن واحد .)

صوت رجل (يسبقه) وقع خطوات على السبيل ، صباح كلب) : صباح الخير ، يا سيدتي البوابة .

صوت البوابة : صباح الخير يا سيد « ليلار » ! انك تخرج اليوم في الضحى ؟

صوت رجل : كان عندي بعض العمل في البيت . ونمت . والآن أشعر بتحسن . انى ذاهب لارسال خطاباتي بالبريد . صوت البوابة : يا لها من مهنة عجيبة ! دائما في أوراقك ! لابد أنك تفكر طول الوقت ، لكى تكتب خطاباتك .

صوت رجل : ليس لكتابتها يلزمنى أن أفكر ، بل لارسالها . صوت البوابة : يا سيدة ! انما ينبغي أن تعرف لمن ترسلها ! أنت لا تستطيع ارسالها لأى شخص ! ولا يجب كذلك أن يكونوا نفس الأشخاص !

صوت رجل : لابد أن يكسب الانسان عيشه بعرق جبينه ، كما قال النبي .

صوت البوابة : اليوم انتشر التعليم انتشارا زائدا ، ولهذا السبب فسدت الأحوال ، حتي الكس ، أصبح أصعب مما كان .

صوت رجل : لا بد أن يكسب الانسان عيشه مع ذلك .
لكى يدفع الصرائب .

صوت البوابة : احسن مهنة هى أن يكون الانسان وريرا .
هؤلاء لا يدفعون الصرائب ، بل يعضونها .

صوت رجل : انهم ايضا مساكين ، عليهم أن يكسبوا
عيشهم ، نعيمهم من الناس .

صوت البوابة : حقا ، فالأغنياء ، ربما كانوا فى مثل حالنا
من الفقر ، لو أن هناك أغنياء فى أيامنا هذه .

صوت رجل : يا سيده ! انما هذه هى الحياة !

صوت البوابة : يا سيده ! نعم ، للأسف !

صوت رجل : يا سيده ! نعم ، يا سيدتى .

صوت البوابة : يا سيده ! نعم ، يا سيدى . نحن نتعب
تعب الكلاب لكى نصل جميعا لنفس المكان ، للحفرة .

فهناك زوجى ، لقد مات منذ أربعين سنة ، وقع هذا بالامس .

(نباح الكلب فى مدخل البيت) . انسدد ، يا « كنز » .

(لا بد انها صرخت كلبها بالندسة ، لاننا نسمع نباحه وانينته .

باب يصفق) . ادخل بيتك . (الى السيدات ، بلا تفتك :)

هيا ، الى اللقاء يا سيد « ليلا » . . انبه لثلاث تنزلق ،

ففى الخارج الأرصفة مبللة جدا . يا له من جو كلب !

صوت رجل : بالضبط . كنا نتكلم عن الحياة . . على

الانسان أن يكون فيلسوفا ، يا سيدتى البوابة ، ماذا

تريدين !

صوت البوابة : لا تذكر لى هؤلاء الفلاسفة ، لقد وضعت

فى رأسى فكرة أتباع نصائح الرواقيين ، ورحت فى التأمل .

ولكنهم لم يعلمونى شيئا ، حتى ولا « مارك - أوريل » .

هذا شيء لا ينفع ، نهائيا . ما كان أذكى منك ولا منى . انما

على كل انسان أن يجد الحل الذى يناسبه . لو كان هناك

حل ، ولكن لا يوجد حل .

صوت رجل : يا سيدي !

صوت البوابة : والا تكون له عواطف ، واين يضعها تلك العواطف ؟ انها شيء لا يدخل في معايير قيمنا . ماذا عساني افعل بها ، انا ، في عمليه دنس السلم ؟

صوت رجل : انا لم اقراهم ، اوليت الفلاسفة .

صوت البوابة : بحق السيدة ، انك على حق . هكذا يتكون الشخص المتعلم ، مثلك . انما الفلسفه لا تصلح الا لانايب الاختبار . بقصد أن تعطىها الوانا ، بل ولا لهذا .

صوت رجل : لا يجوز أن نقول هذا الكلام .

صوت البوابة : ان الفلاسفه لا يصلحون الا لنا ، نحن البوايين .

صوت رجل : لا يجوز أن نقول هذا ، يا سيدتى ، انهم

يصلحون لكل الناس .

صوت البوابة : انا اعرف ماذا اقول . انك لاتقرأ الا الكتب الجيده . اما انا ، فأقرأ الفلاسفه ، لأنى لا أملك نقودا . . . فلاسفه بقروش زهيدة . واذا اعوزتك أنت النقود ، فانك على الأقل تستطيع دخول المكتبات العامة . ويمكنك الاختيار . . . وما فائدة ذلك ؟ أجبتى ، انت يا من تعرف كل شيء .

صوت رجل : الأمر كما اقول لك ، ان الفلسفه تفيد في معرفة فلسفه الحياة !

صوت البوابة : لقد تعودت عليها ، فلسفه الحياة !

صوت رجل : هذه فضيلة ، يا سيدتى البوابة ! (تطرق الكنيسة أسفل باب غرفة بيرانجيه) .

صوت البوابة : آه يا له من بيت متسخ ! انه الوحل !

صوت رجل : ليس هذا ما ينقصنا . هيا ، انى ذاهب ،

هذه المرة ، فالأمر عاجل . الى اللقاء ، يا سيدتى البوابة ، وتشجعى !

صوت البوابة : شكرا يا سيد « ليلا » ! (صوت أنثى الباب الخارجى يصفق بعنف) . آه ، فهو ذكى ، هذا المفعل ، سيكسر الباب ايضا ، لست أنا التى سادفع ثمنه !
صوت رجل (بأدب) : هل قلت شيئا ، يا سيدتى البوابة ؟

صوت البوابة (بأدب أنثى ، وتودد) : لا شيء أبدا ، يا سيد ليلا ، كنت أتحدث هكذا ، وحدى ، لكى أعلم الكلام . على سبيل التسلية ! (انشرف الأنسة أسفل باب غرفة ادوار .)

صوت رجل : يخيل الى أنك ناديتنى . عفوا .
صوت البوابة : يا سيده ! الناس قد تخطئ يا سيد . هذا يحدث أحيانا ! لا بأس ! (من جانبية صوت الباب الخارجى يصفق بعنف) . لقد انكشج ! آه من هذا الرجل ، مهما قلت له مائة ألف مرة نفس الشيء ، لا يفهم ، بطريقته فى رد الأبواب . كأنما هو أصم ! انه يتظاهر بالصمم ، ويسمع كل شيء (تغنى) : اذا جاء البرد ، ذهب الحر . . (يصوى الكلب عواء ثاقبا) اسكت ، يا « كنز » ! آه ، انه لا يساوى شيئا ، ذلك الكلب ! انتظر ، ستشرب ، ضربة جميلة على حنكك . (يسمع صوت باب مسكن البوابة يفتح . هدير الكلب . نفس الباب يصفق .)

صوت رجل ثان (يسبقه وقع بضع خطوات ، وتشويه لكزة أجنبية خفيفة .) : صباح الخير يا سيدتى البوابة . الأنسة « كولومبين » هل تسكن هنا ؟

صوت البوابة : لا أعرف هذا الاسم . لا يوجد سوى فرنسيين !

صوت الرجل الثاني (في نفس الوقت ، صادرا من أعلى ،
ينطلق صوت راديو مرتفع جدا) : مع ذلك ، فقد قالوا لي
انها تسكن الطابق الخامس من هذه العمارة .

صوت البوابة (وهى تصبح ، اكى يسمعها) : قلت لك
انى لا اعرف هذا الاسم !

صوت الرجل الثاني : نعم ، يا سيداتى ؟ (يثور من الناحية
اليمنى ، فى الشارع ، ضجيج تشديد لعربة نقل ، تتوقف
فجأة بعد تمام ثابنتين .)

صوت البوابة (ما زالت تصبح) : اكرر لك انى لا اعرف
هذا .

صوت الرجل الثاني : ولكن اليس هنا رقم ١٣ من شارع
« الدسته » ؟

صوت البوابة (بنفس الطريقة) : من ماذا ؟

صوت الرجل الثاني (أعلى) : اليس هنا رقم ١٣ ؟ ...

صوت البوابة (صارخة) : لا تصرخ بهذه الشدة . انى
اسمعتك . التأكيد هنا رقم ١٣ من شارع « الدسته » .
الا تعرف ان تقرأ الفرنسية ؟ هذا مكتوب على اللافتات !
صوت الرجل الثاني : اذن فلا بد ان الانسة كولومبين
تقيم هنا !

صوت سائق عربة نقل (فى الشارع) : تعلم كيف
تسوق !

صوت البوابة : انا اعلم منك !

صوت سائق (فى الشارع) : لماذا تخاطبنى بلا كلفة ؟
الا تعرف صيغة الاحترام ؟

صوت البوابة : آه ، افكرت ، الانسة كولومبين ، ربما
كانت خائيلة السيد « بوليسون » ؟

صوت سائق عربة النقل (فى الشارع) : قدر ! مستهترا !

صوت الرجل الثانى : نعم .. هو ذاك ! « بيليسون » .
 صوت البوابة : بيليسون أو بوليسون ، لا فرق !
 صوت السائق (فى الشارع) : الا يمكنك أن تكون مؤدبا ؟
 يا رمة !

صوت البوابة : اذن ، هى ذات الشعر الأحمر ! أن
 كانت هى ، فهى تسكن هنا ، كما سبق أن قلت لك ! كان
 عليك أن تشرح ما تريد ! خذ المصعد .
 صوت سائق عربة النقل (فى الشارع) : قدر ! قليل
 الأدب !

صوت السائق (فى الشارع) : قدر ! قليل الأدب !
 (أصوات مختلفة تصدر عن المصعد الذى يتحرك ، والراديو ،
 والعربتين اللتين تستأنفان سيرهما فى الشارع ، ثم
 ((موتوسيكل)) يقدح شررا ، ونرى ، فى لحظة تستغرق ثانية ،
 راكب ((الموتوسيكل)) يهر ، فى الشارع ، أمام النافذة .)
 صوت البوابة (عاليا) : خصوصا لا تنس إعادة اغلاق
 باب المصعد ! (لنفسها) . انهم لا يتذكرون هذا أبدا ،
 خصوصا الأجانب ! (تغنى :)

لا نتقدم ، بالتأكيد ، عندما نخطو فى مكاننا .

لكن هل نتقدم حقا عندما نغير مكانا .. مكاننا ؟

(نسمع باب مسكن البوابة يصفق ، لقد دخلت البوابة
 غرفتها ، هبهبة الكلب ، صوت البوابة يفوق فى حدته صوت
 الكلب :) طيب ، طيب ، يا كنزى الصغير ! من لم يأخذ
 قطعه من السكر ؟ خذ ، هاهى ذى قطعتك من السكر ،
 (هبهبة) انسبد !

(عواء الكلب . من الناحية اليسرى ، فى الشارع ، عابران
 نراهما من خلال النافذة ، يظهران . ويمكن أيضا سماع
 صوتيهما فقط ، دون رؤيتهما . ولكن من الأفضل رؤية نتهما .
 انهدا تشيخان ، مهدهمان ، يسيران فى عناء ، بخطوات قصيرة ،

ويستعين نل منهما بعصاه .)

الشيخ الأول : ياله من جو ردىء .

الشيخ الثانى : ياله من جو ردىء .

الشيخ الأول : ماذا تقول ؟

الشيخ الثانى : ياله من جو ردىء . وماذا تقول ؟

الشيخ الأول : أقول : ياله من جو ردىء .

الشيخ الثانى : استند الى ذراعى لئلا تنزلق .

الشيخ الأول : استند الى ذراعى لئلا تنزلق .

الشيخ الثانى : لقد عرفت أشخا صا لامعين جدا ، لامعين

جدا .

المتشرد (يظهر من الجهة اليمنى على الرصيف المقابل .

يعنى :) بعد ما تركت الب - - - حرة - - - ية ! (ينظر الى اعلى

نحو النوافذ التى يمكن أن تسقط منها قطع النقود .)

الشيخ الأول : وماذا كانوا يصنعون ، هؤلاء الأشخاص

اللامعون ؟

الشيخ الثانى : كانوا يلمعون بشدة !

المتشرد : تزوجت ما - - - رية !

الشيخ الأول : واين كانوا يلمعون ، هؤلاء الأشخاص

اللامعون ؟ (يؤدى للمتشرد نفس الحركة .)

الشيخ الثانى : كانوا يلمعون فى المجتمع ، كانوا يلمعون فى

الندوات . . . كانوا يلمعون فى كل مكان !

الشيخ الأول : ومتى عرفتهم ، هؤلاء الأشخاص اللامعين ؟

المتشردة (نفس الحركة) : بعد ما تركت الب - - - حرة - - - ية . . .

(وهو ينظر فى اتجاه نوافذ الطوابق العليا ، يتجه نحو

اليسار ، ويتوارى .)

الشيخ الثانى : زمان ، زمان . . .

الشيخ الأول : وهل نراهم الآن ، أحيانا ؟

البغال (يخرج من الحانات المسابل ، ينادى انفضب ،
ويرفع رأسه ويصرخ قائما الطائفي الأول) . انت يا سيدني !
الشيخ الثاني : اه ! يا عزيزي ، لا يوجد الآن ناس
يلمعون . . (وراء يتواري يهيم ، وسهمه) لقد اختفى
هذا . ما علمت اعرف اليوم الا اثنين . . من هؤلاء الناس
اللامعين . .

البغال : ايه ياسيدتي ! من تحسبيني ؟
صوت الشيخ الثاني : . . الا اثنين . . أحدهما على المعاش
والآخر قد توى ! (يرت الشيخ الأول وهو يتواري تلكت .)
البغال (نفس الحركة) : لا . . فمن تحسبيني
يا سيدني ؟

صوت المنتشر (يغنى) : ربان السفينة . .
البغال (نفس الحركة) : من تحسبيني ؟ انما انا تاجر
يا سيدني ، أنا لا أبيع نفسي . (يدخل بغضب متجهم .)
صوت المنتشر (وهو يبتعد) :

ناداني وقال لي
تزوج ماريتك
إذا مال إليها فؤادك .

صوت الشيخ الأول (وهو يبتعد) : حتى لو كان بعضهم
موجودين ، لن نطق اليهم . أن اللامعين لا يلمعون الآن .
(صخب الفسحة المدرسية الذي ينبعث من الناحية اليمنى
وكان قد خفت منذ وهلة ، وتتصاعف شدته . جرس) .
صوت المدرس : ادخلوا الفصول ! ادخلوا الفصول !
ادخلوا الفصول !

صوت (صادر من الشارع .) : لدينا ثمانية وخمسون
مسعيا موزعا . .

صوت المدرس : سكوت ! (أقلام تضرب الأرض ، صياح ،

**قمطرات تفرع، إلى آخر هذه الأصوات المنبعثة من الناحية
اليسرى (سحوت ، سكوت !**

**صوت (صادر من الشارع) : لدينا ثمانية وخمسون
ساعيا موزعا : (في المدرسة ، صمت الأطفال)**

**صوت المدرس : درس تاريخ : أتى ممتلئ الشعب أمام
أسوار قصر الملكة « ماري أنطواييت » . وصاحوا :**

**صوت (صادر من الشارع) : لدينا ثمانية وخمسون
ساعيا موزعا .**

**صوت المدرس : صاحوا : « لم يعد لدينا فطير ، يا صاحبة
الجلالة ، أعطينا فطيرا » . فاجبت الملكة : « نفذ الفطير » .**

**صوت (صادر من الشارع) : لدينا ثمانية وخمسون
ساعيا موزعا .**

**صوت المدرس : لا يوجد فطير ، ما عليكم الا أن تأكلوا
خبزا . عندئذ غضب الشعب . وقطعوا رأس الملكة . ولما
رأت الملكة نفسها بلا رأس ، استعادت حتى فار دمها ، ولم
تعش بعد ذلك ، رغم الأطباء الذين لم يكونوا متمكنين من
العلم في تلك الأيام .**

**صوت (في الشارع) : لدينا ثمانية وخمسون ساعيا
موزعا .**

**صوت غليظ (في الشارع) : كنا على ارتفاع سبعة آلاف
متر ، عندما رأيت فجأة أحد جناحي طائرتنا ينفصل .**

صوت آخر (تحيل) : يا خبر !

**الصوت الغليظ : فقلت لنفسي : حسنا ، بقي الجناح
الآخر . وانتقل الركاب الى جانب واحد لكي تتوازن الطائرة ،
التي كانت تطير بجناح واحد .**

الصوت التحيل : وهل خفت ؟

الصوت الغليظ : انتظر . . على حين فجأة ، فقدت الطائرة

جناحها الثانى ومحركاتها ... ومراوحها .. وكنا على ارتفاع سبعة آلاف متر !
الصوت النحيل : آى !

الصوت الغليظ : فقلت لنفسي ، هذه المرة لقد هلكنا ..
(الصوت يبتعد) هلكنا ، لا أمل فى شىء .. أتعرف كيف خرجنا من المأزق ؟ انى أراهنك على ألف ..

صوت آخر فى الشارع : ساعتنا الموزعون - وعددهم ثمانية وخمسون - يضيعون وقتا زائدا عندما يذهبون للتبول . خمس مرات يوميا ، فى المتوسط ، يقطعون حركة التوزيع لقضاء حاجاتهم الشخصية . وهذا الوقت لا يخصم من أجورهم . انهم يستغلون الوضع ، يجب تنظيمهم . فليتبولوا مرة واحدة فى الشهر ٪ كل بدوره . مدة أربع ساعات ونصف بلا انقطاع . وهذا من شأنه أن يوفر لك تلك الروحات والفدات التى تكلفنا كثيرا . ان الجمال أيضا تختزن الماء .

صوت أول (صادر من أسفل) : ركبت القطار . دخلت ديوانى ، وجلست فى المكان المحجوز لى . وتحرك القطار . فى نفس اللحظة ، وصل السيد الذى حجز نفس المكان ، ومعه نفس الرقم . من قبيل المجاملة ، نزلت له عن مكانى وذهبت الى الممشى ، فلم يكديقول «شكرا» . وظللت واقفا ساعتين . وبعد انقضاء ساعتين ، وقف القطار فى محطة ، ونزل السيد من القطار فاستعدت مكانى ، لأنه كان أولا مكانى . ومن جديد ، انطلق القطار . وبعد انقضاء ساعة ، وقف القطار فى محطة أخرى . واذا بالسيد يصعد مرة أخرى ، ويريد أن يسترد مكانه . من الوجهة القانونية ، هل كان له الحق فى استرداده ؟ لقد كان المكان مكانى ، بقدر ما كان مكانه ٪ ولكنه كان يدعى أن له حقا هو حق المحتل الثانى . واحتكمنا للقضاء ،

فقال لى القاضى ان له امتيازات اضافيه ، لأن هذا السيد كان
أسقفا وناقدا ، وانه عن تواضع لم يذكر القابه .
صوت آخر من أسفل : ومن كان هذا السيد ؟
الصوت الأول الصادر من أسفل : انه ناقد ، أسقف .
« مورفان » الأسقف ، أسقف المورفان .
الصوت الآخر الصادر من أسفل : وكيف يمكن من اللحاق
بالقطار ؟

الصوت الأول الصادر من أسفل : بالتخريم .
صوت فى الشارع (أقرب) : لدينا ثمانية وخمسون ساعيا
موزعا . (يظهر الشيخان مرة أخرى من الجانب الآخر
للشارع ، أى من الناحية اليسرى .)
الشيخ الأول : كنت مدعوا الى وليمة الفرح ، طبعاً . .
ولم أكن مسرورا ، لأنى ، أنا ، لا أحب الأكلة الديك بالنبيذ .
الشيخ الثانى : ألم يقدموا لك الديك بالنبيذ ؟
الشيخ الأول : بلى . ولكنهم لم يقولوا لى انه ديك
بالنبيذ ، ولذلك لم يكن لدينا عندما أكلت .
الشيخ الثانى : هل كان ديكاً بالنبيذ ؟
الشيخ الأول : كان ديكاً بالنبيذ . ولكن لأنى لم أعلم
ذلك ، ضاعت على الوليمة .
الشيخ الثانى : يا ليتنى دعيت بدلا منك . لأننى ، أنا
أحب الولاثم المضيعة . (يتوارى الشيخان .)
صوت فى الشارع : لدينا ثمانية وخمسون ساعيا موزعا .
صوت (صادر من اليمين) : ينبغى أن نشظر جديا فى
مسألة تمويلنا .
صوت من أعلى : هل تصدى للمسألة وفد وكلاء النواب ؟
صوت (صادر من اليسار) : ينبغى أن نشظر جديا فى
مسألة تمويلهم .

صوت من أعلى : ينبغي أن ننظر جديا في مسألة تمويل ساعاتنا الموزعين .

صوت آخر صادر من اليسار : لا ، لقد فصلت في المسألة وكالة وفد النواب .

صوت من اليمين : ما الحيلة ؟ أن الإنتاج هو الانتاج ! ينبغي اعاده النظر في الموضوع ، اعاده النظر فيه من القاعده .

صوت من اليسار : بما لدينا من رؤساء العمال ، ووكلاء الرؤساء ، والقطاعات والدوائر ، سنشكل قاعدة تنظيمية ، لجنة لتطبيق الاشتراكية .

صوت من أعلى : كبار العمال والدوائر سيؤلفون لجانا لتنفيذ شركات المنفذين الذين سيؤلفون مجموعات اجتماعية .
صوت من اليمين : هناك المبدأ التنظيمي للقاعدة ووجهة النظر التنظيمية للبناء الأعلى .

صوت من اليسار : والثمانية والخمسون ساعيا موزعا لدينا لا

صوت من أعلى : بعد العمل ، ينبغي تنظيم الراحة .
صوت من أسفل : راحة شديدة جدا .

صوت من اليسار : راحة بالقوة . (لمدة بضعة ثوان يتكاثف الضباب فيظلم المسرح . أثناء هذا الوقت تضعف الأصوات الخارجية ، ولا نسمع الا شذرات من كلام غير واضح .)
صوت البوابة (بعد صفق بعض الأبواب في مدخل البيت .) آه ، عندما يختلط الضباب يدخان المصنوع ، لا يمكن أن نسمع شيئا ! (تنطلق صفارة مصنع قوية جدا .)
لحسن الحظ ، الصفارات موجودة ! (انقشع الضباب ، ونرى - في الجانب الآخر من الشارع - المتشرد يفتي .)
صوت المتشرد :

والقبطان الثانى .. نادانى .. وقال الى :
 تزوج مارية .. تزوج مارية ..
 (ايتعدت أصوات الشارع ، لتفسح المجال للمشاهد
 التالى .)
 المتشرد :

كنت بحارا طيبا ،
 فسكن زوجا طيبا !
 (نسمع ، فى مدخل البيت ، بابا يصفق .)
 صوت البوابة (فى هذه الأثناء ، ينظر المتشرد - وهو
 يندب - نحو النوافذ التى ستسقط منها قطع النقود ،
 ورفع عن رأسه قبعته القديمة المفزورة ، فيحيط فى الفضاء ،
 ويتقدم نحو النافذة حتى يصبح فى وسط الشارع .) :
 لا تخطى الباب هكذا .

صوت امرأة (فى مدخل البيت .) : وأنت أيضا ، أحيانا
 يحدث لك أن تخطيه . أنا لا أفعل عمدا .
 صوت البوابة : نعم ، انما ذلك لاننى أنا لا انتبه .
 المتشرد (فى الشارع ، ينظر الى النافذة .) : سلاما ،
 سيداتى وساداتى ! شكرا ، سيداتى وساداتى . (يتنهد لأن
 قطع النقود لا تسقط .) ما هم من أهل الكرم ، يا سائر !
 صوت البوابة (تغنى) : اذا جاء الحر ، فلأن الدنيا برد !
 المتشرد (بينما تردد البوابة نفس القرار ، عبر الشارع ،
 يمسكه من الخلف راكب موتوسيكل منطلق بأقصى سرعة ،
 نسمع صوت صاحب الموتوسيكل : (يا جنس ..) .)
 فكن زوجا طيبا ! (لقد اقترب تماما من النافذة ، ثم وهو
 يندب :)

ولسكن احذر مع ذلك ،
 ولسكن احذر مع ذلك !

(ينظر من النافذة الى داخل غرفه بيرانجيه ، ملصقا وجهه وانفه - الذى ينبطح - بالزجاج المغلق .)

البوابة (تظهر بجلالة قدرها على الرصيف ، فتكنسه وهي تدندن ، ثم تصطدم بالمتشرد) : ماذا تفعل هنا ، أنت ؟ المتشرد : أغنى !

البوابة : أنت توسخ الزجاج . انه ساكن عندي ! وأنا التى اتولى تنظيف الزجاج . المتشرد (متهاكما) : اوه ! العفو يا سيدتى . ما كنت أعلم . لا تفضبى ..

البوابة : هيا ، انصرف ، يلا كلام ! المتشرد (وما زال مستهزئا ووثلا الى حد ما) : سمعت ذلك أكثر من ألف مرة ، انك مبذلة جدا يا سيدتى . البوابة (تهدهده بمكنستها .) : سوف أوقع عليك ، أنا ، تقديراتى .

المتشرد : لا لزوم ، يا سيدتى ، انى منصرف ، يا سيدتى ، عفوا ! (يبتعد ، نسمعه يدندن :)

بعد ما تركت البحريّة
تسز و جت ماريّة

البوابة (وهى مازالت فى الشارع ، بجوار النافذة ، تستدير فجأة بعد أن سمعت فباح كلبها) : انسدد ! .. الساعى ! (الى الساعى) لمن يا حضرة الساعى ؟ صوت الساعى : هذه برقية للسيد بيرانجيه ! البوابة : فى الطابق الارضى . الى اليمين . صوت الساعى : شكرا .

البوابة (وهى تلوح بمكنستها ناحية المتشرد الذى توارى عن الأنظار .) : قدر . (وهى تهز كافيها .) انه ليس بحاريا أكثر مما أنا بحارة . (تسمع الساعى يطرق باب بيرانجيه ، بينما تكنس البوابة الرصيف .) آه من براز

الكلاب ، ليس كلبى هو الذى يفعل مثل هذا .

صوت الساعى : ليس من يجيب .

البوابة (الساعى الذى لا نراه) : أقرع بشدة . انه موجود .

صوت الساعى : قلت لك ليس هناك من يجيب .

البوابة : ناس لا يعرفون حتى كيف يطرقون الباب !
(تتوارى فى مدخل البيت .)

صوت البوابة : لا يمكن ان يكون قد خرج . انما انا اعرف عوائده . انه ساكن عندى . بل انا التى انظف غرفته ، وامسح له الزجاج .

صوت الساعى : حاولى ! (نسمع طرقات قوية متتالية على باب غرفة بيرانجيه .)

صوت البوابة (وهى تقرع الباب) : ياسيدى بيرانجيه ، يا سيدى بيرانجيه ! (سكون . طرقات جديدة .) يا سيد بيرانجيه ! يا سيد بيرانجيه !

صوت الساعى : ماذا قلت لك ؟

صوت البوابة : هذا شيء عجيب ! لا يمكن ان يكون قد خرج . ربما كان نائما ، ولكن ليست هذه من عوائده . أقرع بشدة . وسأذهب أنا لأرى ! (الساعى يواصل الطرق . تعود البوابة للظهور أمام النافذة ، تلصق بالزجاج وجهها الذى ينبغي أن يكون - بطبيعة الحال - وجهها بشعا ، ويزيده قبحا انبطاح الأنف على سطح الزجاج .)

البوابة : يا سيد بيرانجيه ! رد يا سيد بيرانجيه ! (فى الوقت نفسه ، نسمع الساعى يطرق الباب .)

الساعى : يا سيد بيرانجيه ، برقية يا سيد بيرانجيه !
البوابة : يا سيد بيرانجيه ، هناك برقية لك . . ياللعجب ، (فترة سكون .) ترى أين يكون ؟ انه لا يمكث فى غرفته أبدا ! (تطرق من جديد زجاج النافذة ، بينما لا تزال نسمع

على الباب طرقات الساعى •) هناك ناس يتنزهون ، ولاعمل لهم غير ذلك ، وأما نحن فنكدخ • • انه غير موجود! (تختفى، ولابد أنها بالقرب من مدخل البيت ، نرى من ركن النافذة ذراعها ويد مكنستها تتحرك الآن •)

صوت الساعى : ما دام غير موجود ، فهو غير موجود • كنت تقولين انه يمكث طول الوقت فى غرفته !
صوت البوابة : لم اقل أبدا هذا ! ناولني البرقيسة ، سوف اعطيه اياها ! (تتوارى تماها •) اننى اتا التى أمسح له الزجاج •

صوت الساعى : ليس من حقى أن أعطيك اياها • لا أستطيع •

صوت البوابة : فليكن ! احتفظ بها •
صوت الساعى : انى أعطيك اياها مع ذلك • هاهى •
صوت البوابة : يجب على بعد ذلك ان انرقب عودته ! يا مفيت !..

(سيكون • لنقطعت الضوضاء انقطاعا مباغتاً ، بعد أن خفتت تدريجاً صفارة مصنع آخر • وربما أمكننا أن نسمع أيضاً ، للمرة الاخيرة ، سباب البوابة الموجه الى كلابها ، يعقبه عواء هذا الكلب • نضع لحظات من الصمت • ثم نرى فى الشارع ، قادما من الناحية اليمنى ، ورأسه يوازي أسفل النافذة ، بيرانجييه يسير عائدا الى مسكنه • انه يرتدى معطفه ويمسك فى يمينه ، بطريقة عصبية ، قبعته التى راح يهزها بشدة • وهو يمشى منحنى الرأس • بمجرد أن يتجاوز مجال النافذة ، نسمع وقع خطواته فى مدخل البيت • ونسمع صوت المفتاح يدور فى القفل •)
صوت البوابة (مؤدبا جدا •) : آه ، هذا أنت يا سيد

بيرانجيه . هل قمت بنزهة جميلة ؟ انك على حق في استنشاق الهواء ! أنت محتاج الى ذلك !

صوت بيرانجيه : صباح الخير ، يا سيدتى .

صوت البوابه : ان كنت قد تنزهت ، فمعنى ذلك انك خرجت . انى لم أسمعك وانت تغادر البيت . لماذا لم تخبرنى ؟ لم يكن عندى المفتاح لكى أنظف غرفتك . وكيف أعرف ؟ كنت أود . لقد جاءتك برقية ! (سيكون . كف بيرانجيه عن فتح الباب ، لا بد أنه يقرأ البرقية .) ربما لم تكن لأمـر عاجل ؟ لذلك قرأتها . انه تاجر الحاجيات . يطلبك على وجه السرعة . ليس ما يدعو لان تقلق .

(نسمع من جديد صرير المفتاح فى القفل . ينفـتح باب غرفة بيرانجيه برفق . نسمع البوابه تتمتم فى غضب يكلام غير مفهوم ، وانخبط باب مسكنها ، والكلاب يبحار . يرى الناظر ، فى الحجـرة وهى نصف مظلمة ، شبح بيرانجيه يظهر . انه يتقدم ، بخطوات بطيئة ، نحو وسط المسرح . سيكون شـاهل . يضغط بيرانجيه على الزر الكهربائى ، فيضىء المسرح . ناهج ، قابعا فى ركنه ، مرتديا معطفه ، وقبعته على رأسه ، وقد وضع حقيبته عند قدميه ، (ادوار) الذى يشبهل سعالا خفيفا . يشرب بيرانجيه من دهشته أولا السماع هذا السعال ، وفى الوقت نفسه تقريبا لـ رأى (ادوار) .)

بيرانجيه (وهو يقفز) : آه ، ماذا تفعل هنا ؟

ادوار (بصوت انجيل ، حاد قليلا ، يشبه صوت الاطفال ، وهو يسعل سعاله الخافت ، وينهض ويتناول حقيبته ويحملها بيده) : الجو ليس دافئا ، عندك .

(يپصق فى منديله ، ولكى يفعل ذلك ، يضع حقيبته

من جديد على الأرض ، ويخرج أيضا يده اليمنى من جيبه ، يبدأ يابسسه قليلا ، ويبدو بوضوح أنها أفصر من الأخرى ، ثم يعيد تطبيق منديلته بعناية ، وبنظام منهجي ، ويرده إلى جيبه ، ويستعيد حقيبتة . (بيرانجييه : لقد اخفنتى . . لم أكن أتوقع زيارتك . ماذا تفعل هنا ؟)

ادوار : كنت في انتظارك . (يعيد يده القصيرة إلى جيبه .) صباح الخير ، يا بيرانجييه .
بيرانجييه : كيف دخلت ؟
ادوار : دخلت من الباب يا أخى . فتحت الباب .
بيرانجييه : وكيف فعلت ؟ لقد كانت المفاتيح معى !
ادوار : (يخرج من جيبه مفاتيح ويربها لبيرانجييه) : ومعى أيضا . (يعيد المفاتيح إلى جيبه .)
بيرانجييه : كيف حصلت على هذه المفاتيح ؟ (يضع قبعبته على المائدة .)

ادوار : اتما . . أنت نفسك الذى سلمتني مجموعة منها ، لكى أدخل لديك عندما أريد وأنتظر ، في حالة غيابك .
بيرانجييه : (وهو يبحث في ذاكرته) : أنا . . أعطيتك هذه المفاتيح ؟ . . متى ؟ . . انى لا أتذكر . . مطلقا . .
ادوار : ومع ذلك فأنت الذى سلمتني إياها . والا ، فكيف كان يمكننى أن أحصل عليها ؟
بيرانجييه : هذا شيء عجيب ، يا عزيزى ادوار .
بالاختصار ، ما دمت تقول . .

ادوار : أوكد لك . . أعذرني ، يا بيرانجييه ، انى أردتها اليك ان كان يضايقك أن أحتفظ بها معى .
بيرانجييه : على كل حال . . لا ، لا . . أحتفظ بها ، يا ادوار ، أحتفظ بها ما دامت معك . أعذرني ، ان ذاكرتى

ضعيفة . ولست أتذكر اننى اعطيتك اياها .
ادوار : بلى ، مع ذلك . . تذكر ، كان ذلك فى السنة
 الماضية ، اظن . ذات يوم احدا لما . .
بيرانجيه (يقاطعه) : البوابة لم تقفل لى أنك فى
 انتظارى .

ادوار : لا بد أنها لم تلمحنى ، معذرة ، فلم أكن أعلم انه
 يجب استئذانها فى الدخول عندك . ألم تقبل لى أنت ان هذا
 غير ضرورى ؟ على أنك ان كنت لا ترغب فى زيارتى . .
بيرانجيه : لست اعنى هذا . ان وجودك يسرنى دائما .
ادوار : انا لا اريد ان ازعجك .
بيرانجيه : أنت لا تزعجنى مطلقا .
ادوار : أشكرك .

بيرانجيه : انما ضعف ذاكرتى هو الذى يحزننى . .
 (لنفسه) ومع ذلك ، فالبوابة لم يمكنها ان تغادر البيت ،
 هذا الصباح ! (الى ادوار) ماذا بك ؟ أنك ترتعش .
ادوار : نعم ، فعلا ، لست أحس اننى فى حالة جيدة ،
 انى أشعر بالبرد .

**بيرانجيه (وهو يتناول يد ادوار السليمة ، بينما يدس
 ادوار يده الاخرى فى جيبه) :** حرارتك دائما مرتفعة ،
 أنك تسعل وترتجف . أنك شاحب جدا . وعيناك تحترقان .
ادوار : ان الرئتين . . شئ يعتذر اصلاحه . . منذ
 اصابنى هذا . .

بيرانجيه : وما أفسد التدفئة فى هذه العمارة . . (دون
 ان يقطع معطفه ، يجلس فيفروص ، وهو عابس ، فى كرسي
 كبير بجوار المائدة ، بينما يظل ادوار واقفا .) اجلس .
 يا ادوار .

ادوار : شكرا . شكرا جزيلًا . (يجلس على الصوان ، بجوار النافذة ، وهي يضع بحرص حقيبته على مقربة منه ، في متناول يده . برهة من السكون ، ثم يحدث وجهه بيرانجيه القاتم وهو يتنهد) يبدو انك شديد الحزن ، عليك أمارات الاعياء والقلق ..

بيرانجيه (لنفسه) : ليته مجرد القلق ..
ادوار : أتكون مريضاً أيضاً ؟ .. ما الذى جرى ؟ هل حدث لك شيء ؟

بيرانجيه : لا ، لا .. لا شيء مطلقاً . اننى هكذا ..
لست مرحاً بطبعي ! برررر .. انى أيضاً أشعر بالبرد !
(يفرك يديه .)

ادوار : لا يد أن شيئاً قد حدث لك . ان أعصابك متوترة ، انك فى حالة هياج تام ! قل لى ماذا ألم بك - ان لم يكن الأمر سراً - فهذا سيعيد اليك الهدوء .
بيرانجيه (ينهض ويخطو - بانفعال - عدة خطوات فى الغرفة) : هناك بما يدعو ..

ادوار : ما الذى جرى ؟
بيرانجيه : أوه ، لا شيء ، لا شيء وكل شيء .. كل شيء ، كل شيء ..

ادوار : بودى ان أتناول قدحاً من الشاي ، لو أن هذا ممكن ..

بيرانجيه (يتخذ فجأة اللهجة التراجيدية التى تلقى بها التصريحات الخطيرة) : عزيزى ادوار ، اننى مجروح ، يائس ، لا عزاء لى ..

ادوار (دون أن يغير نبرة صوته) : مجروح لماذا ، ولا عزاء لك لماذا ؟

بيرانجيه : اغتالوا خطيبتى ..

ادوار : ماذا نقول ؟

پیرانجیه : اغتالوا خطیبتی ، اسمعت ؟

ادوار : خطیبتک ؟ فهل انت خاطب ؟ انک لم تحدثنی ابدا عن مشروع زواج یراودک .. مبروک . والبقیه فی حیاتک ایضا . من کانت خطیبتک ؟

پیرانجیه : فی الواقع .. هی لم تکن بالضبط خطیبتی .. انها فتاة ، فتاة کان یمکن ان تصبح خطیبتی .
ادوار : آه ، هو ذاک !

پیرانجیه : ننتاة حسناء بقدر ما هی وديعة ، رقيقة ، نقيّة كأنها ملاک . هذا فطیع . فطیع جدا .

ادوار : منذ متى کنت تعرفها ؟

پیرانجیه : ربما منذ الأید . وعلى وجه التأكيد ، منذ صباح الیوم .

ادوار : شیء حدیث العهد .

پیرانجیه : لقد انتزعوها منی .. انتزعوها ! .. لقد ..
(يلوح بيده)

ادوار : لا بد انه شیء مؤلم .. هل عندک شای ، من فضلك ؟

پیرانجیه : اعدرنی ، فقد انصرف فکری : عما تطلب .. ازاء هذه المأساة .. التى تمزق حیاتی ! نعم ، نعم ، عندی شای .

ادوار : انی أفهمک .

پیرانجیه : لا تستطيع ان تفهمنى .

ادوار : آوه ، بلى .

پیرانجیه : لا أستطيع ان اقدم لك الشای . انه متعطن . لقد نسيت .

ادوار : اذن ، فكأسیا من الروم ، أرجوكم .. ان جسمی

كله ينتفض . (بيرانجيه - وهو يتكلم - يتناول زجاجة روم ، ويمأذ كأساً صغيرة لادوار ، ويمدها اليه .)
بيرانجيه : سوف أفقدها ، دائماً . لقد انتهت حياتي .
انه تمزق لن يلتئم أبداً !

ادوار : انك ممزق تماماً ، يا صديقي المسكين ! (وهو يتناول كأس الروم) شكراً . (بلهجة غير المكترث دائماً)
يا صديقي المسكين !

بيرانجيه : وليت الأمر قد اقتصر على هذا ، ليته اقتصر على مقتل هذه الفتاة المنكودة . أتدرى ، هنالك أشياء تحدث ، أشياء فظيعة تحدث في الدنيا ، في مدينتنا ، أشياء رهيبة ! لا يتصورها الخيال . . بجوارنا هنا . . بجوارنا نسبياً . . بل معنوياً ، انها تقع هنا ! . . (يقرع صدره ، ادوار يتجرع الروم ، فيشرق ، ويسعل .) انك لست بخير !

ادوار : هذا الاشياء . انه قوى . (يواصل السعال .)
لابد اننى ابتلعت بانحراف .

بيرانجيه (وهو يضرب ادوار على ظهره ضربة خفيفة لكي يقف سعاله ، ويستترد كأسه بيده الاخرى) : كنت اعتقد اننى استعدت كل شيء ، استعدت كل شيء . (الى ادوار) ارفع رأسك . انظر الى السقف . سينقطع هذا . . (يواصل حديثه) كل ما فقدته ، وكل ما لم أفقده ، كل ما كنت أملكه ، وكل ما لم أملكه أبداً . .

ادوار (الى بيرانجيه الذى لا يزال يقرع ظهره) : شكراً . . لا بأس هكذا . . انك توجعنى . . هذا يكفى ، أرجوك .
بيرانجيه (يهضى ليضع الكأس الصغيرة على المائدة ، بينما يبصق ادوار في منديلته) : كنت أعتقد أن الربيع قد عاد الى الأبد . . اننى وجدت الضالة التى لا توجد ، الحلم ،

المفتاح ، الحياة .. كل ما فقدناه ونحن نعيش .
الدوار (وهو يسعل سعالاً خفيفاً) : أجل . بكل تأكيد .
بيرانجيه : كل ما تصيبو اليه نفوسنا بلا وعى ، كل ما
 نبغيه في الخفاء ، من أعماق أعماقنا ، ودون أن ندرك أمره
 .. آه ، كنت أعتقد أنني قد نلت كل شيء .. كانت أرضاً
 لم يرتدها أحد ، ساحرة الجمال ..
الدوار : أنك دائماً تبحث عن أشياء عجيبة . أنك تضع
 لنفسك أهدافاً لا سبيل اليها .

بيرانجيه : كيف وقد كنت هناك ؟ كيف والفتاة ..
الدوار : الدليل هو أنك لم تعد هناك ، وإنما لم تعد في
 الدنيا . أن مشاكلك معقدة ، بلا فائدة . نعم . لقد كان
 في نفسك دائماً سخط ، تمرد يأبى الاذعان .
بيرانجيه : ذلك أنني أختنق .. انى لا أتنفس الهواء
 المقدّر لى .

الدوار (وهو يسعل سعالاً خفيفاً) : اعتبر نفسك سعيداً
 لأنك بصحة جيدة ، لأنك بغير عاهة أو مرض .
بيرانجيه (دى أن يابه لما يقوله له الدوار) : لا . لا . لقد
 رأيت ، حسبت أنني بلغت شيئاً ما .. شيئاً يشبه عالمنا
 آخر . نعم ، أن الجمال وحده يستطيع أن يفتح أزهار
 الربيع بلا نهاية .. تلك الأزهار الخالدة .. للأسف ، لم
 يكن ذلك سوى نور خلاب ! .. فمن جديد ، من جديد ،
 أنهار ذلك في الهاوية .. في ثائية ، في ثائية ! انه نفس
 السقوط ، يتكرر .. (كل هذا الكلام يلقي بلهجة خطابية ،
 في منتصف الطريق بين الصدق والتمثيل .)
الدوار : أنت لا تفكر الا في نفسك .

بيرانجيه (باحتداد خفيف) : هذا غير صحيح . هذا غير
 صحيح . أنا لا أفكر في نفسي فقط . فليس من أجل نفسي

.. أو من أجل نفسي وحدها أنا أتألم في هذه اللحظة ؛
وأرفض هذه الأوضاع ! إنما تأتي لحظة لا يستطيع المرء
فيها أن يقر الأمور العظيمة التي تحدث ..
ادوار : ولكنه نظام الدنيا . أنا ، مثلاً ، انى مريض ..
لقد وطنت نفسي على ذلك ..

بيرانجيه (يقاطعه) : ان هذا يشغل على النفس ، يشغل
بشكل رهيب ، الاسيما بعد أن يعتقد المرء أنه اجتلى .. بعد
أن يعتقد أنه يستطيع أن يأمل .. آه ، آه .. الآن لا حول
لى .. اننى متعب .. وهى قد ماتت ، لقد ماتوا ، لسوف
يقتلونهم جميعاً .. ولا يمكن منع الاجرام ..

ادوار : وكيف ماتت ، تلك الخطيئة التى لعلها لم تكن
موجوده ؟ ومن هم أولئك الذين سيقتلون ، أيضاً ، فضلاً
عن الذين يقتلون فى العادة ؟ عم تتكلم هكذا ؟ أهى أحلامك
التى يقتلونها ؟ ان التعميم لا يعنى شيئاً .

بيرانجيه : انها ليست أقوالاً لقيها فى الهواء ..

ادوار : اعذرنى . أنا لا أكاد أفهمك . أنا لا ..

بيرانجيه : أنت دائماً قابع فى جحورك . انك لا تعلم شيئاً
أبداً . أين تعيش ؟

ادوار : حدد ، خبرنى .

بيرانجيه : انه شئ لا يمكن تصديقه مطلقاً . يوجد ، فى
مدينتنا — مادامت لا تدرى — حى جميل .

ادوار : وبعد ؟

بيرانجيه : نعم ، يوجد حى جميل . أنا وجدت الحى
الجميل ، وأنا عائد منه . انهم يسمونه « المدينة المنيرة » .

ادوار : وبعد ؟

بيرانجيه : على الرغم من اسمه ، فهو ليس حى الفرح ،
الحى النموذجى ، الحى الممتاز . هناك شرير ، سفاح نهم

قد حوله الى جحيم .

ادوار (يسعل) : اعذرني ، انى أسعل ، بالرغم منى !

بيرانجيه : هل تسمعنى ؟

ادوار : بكل وضوح . هناك سفاح قد حوله الى جحيم .

بيرانجيه : آته يبت الارهاب ، يقتل الجميع . والناس تهجر الحى . ولن يكون له وجود .

ادوار : آه . نعم ، لقد أدركت الموضوع الآن ! لاشك أنك

تعنى المتسول الذى يرى الناس صورة الكولونيل ويلقيهم فى الماء وهم ينظرون اليها ! تلك حيلة لخداع البسطاء . كنت أعتقد أنك تتحدث عن شيء آخر . ان لم يكن الأمر الا هذا . .

بيرانجيه (مندهشما) : هل كنت تعرف ذلك ؟ هل كنت على علم ؟

ادوار : منذ عهد بعيد — ماذا تظن ؟ لقد كنت أحسب

أنك ستنبئنى بشيء جديد ، بأن هناك حيا جميلا تانيا .

بيرانجيه : ولماذا لم تقل لى أبدا أى شيء ؟

ادوار : كنت أعتقد أن الأمر لا يستحق الذكر . ان

المدينة كلها تعرف القصة ، بل يدهشنى جدا أنك أنت لم

تعرفها قبل الآن ، فهى خبر قديم . من لا يعرف هذه

الحكاية ؟ . . لقد كنت أرى من غير المائيد أن أحدثك عنها .

بيرانجيه : كيف ؟ كل الناس على علم ؟

ادوار : مادمت أقول لك ذلك . أترى ، أنا نفسى أعرف

الحكاية . والحكاية معروفة ، مفهومة ، مصنفة . حتى

تلاميذ المدارس يعرفون . .

بيرانجيه : حتى تلاميذ المدارس ؟ . . هل أنت متأكد ؟

(يسعل سعالا خفيفا)

ادوار : طبعا .

بيرانجيه : كيف استطاع نلاميذ المدارس أن يعلموا ؟ .
ادوار : لابد أنهم سمعوا آباءهم يتكلمون . . أو الكبار . .
 مدرس المدرسة أيضا عندما يعلمهم القراءة والكتابة . . هلا
 أعطيتني مرة أخرى قليلا من « الروم » ؟ . . بل لا ، ان ذلك
 يسبب لي مزيدا من الألم . يستحسن أن أمتنع . (يستأنف
 شرحه) ذلك شيء يؤسف له ، بلا شك .

بيرانجيه : يؤسف له جدا ! يؤسف له غاية الأسف . .
ادوار : وماذا تريد من الناس أن يفعلوا في هذا الشأن ؟
بيرانجيه : أسمح لي أن أقول لك ، بدوري ، في هذه
 الحال ، الى أي درجة أنا نفسي مندهش من أن الأمر
 لا يروعك الى أكثر من هذا الحد . . لقد ظننت دائما أنك
 رجل حساس ، أنك انسان .

ادوار : لعلى كذلك .

بيرانجيه : انه شيء فظيع . فظيع .

ادوار : هذا رأيي . أنا لا أعارضك .

بيرانجيه : ان عدم اكتراثك بشي تأثرتي ! وأقول لك هذا
 في وجهك .

ادوار : وما العمل ؟ . أنا . .

بيرانجيه (بصوت أقوى) : ان عدم اكتراثك بشي تأثرتي !

ادوار : لاحظ . . ان الخبر بالنسبة اليك خبر جديد

جدا . .

بيرانجيه : ليس هذا سببا . أنت تحزنني يا ادوار ،

صدقني أنت تحزنني . . (يثتاب ادوار سعال عنيف .
 يبصق في منديله .)

بيرانجيه (وهو يهرع نحو ادوار ، اذ يكاد يغمى عليه)

هل تشعر بالم ؟

ادوار : كوبا من الماء .

پیرانجیہ : حالا آتیک بہ . (یسندہ .) نمدد هنا . .
على الأريكة . .

ادوار (بین سعلتین أو شهقتین) : حقیبتی . . (ینحنی
پیرانجیہ لیتناول حقیبة ادوار . وعلى الرغم من أنه في حالة
اغداء تقریبا ، یثب ادوار وثیة فینفلت من یدی پیرانجیہ
لیمسك بالحقیبة .) دع عنك . . دع عنك . . (یأخذ من
یدی پیرانجیہ الحقیبة التي قبض هذا عليها ، ثم - وهو
ما زال یترنح ویبتوكتا على پیرانجیہ - یصل الى الأريكة ،
فیتمدد عليها بمعاونة پیرانجیہ ، ویضع الحقیبة بجانبه .)
پیرانجیہ : ان العرق یفمرك . .

ادوار : ومثلوج في الوقت نفسه ، آه . . هذا السعال ،
شیء رهيب . .

پیرانجیہ : لا تتعرض للبرد . هل تريد غطاء ؟
ادوار (وهو یشتفضى) : لا تقلق . هذا لاشیء . . سوف
ینقضى . .

پیرانجیہ : استقر . استرح .
ادوار : كوبا من الماء . .
پیرانجیہ : حالا . . آتیک بہ .

(ینخرج مندفعاً لیحضر كوب الماء . یسمع صوت الماء
یتدفق من صنوبر . أثناء هذا الوقت ینهض ادوار ،
منتكئا على مرفق ، ویمسك عن السعال ، ویتحقق
- بیید قلقه - من قفل حقیبته الضخمة السوداء ،
فیطمئن قليلا ، ثم یمستقی من جدید ، وهو ما زال
یسعل ، ولكن سعالا أخف . یجب الا یوحى ادوار
بأنه یحاول خداع پیرانجیہ ، فهو حقا مریض ، ولديه
غير ذاك من دواعی القلق ، كحقیبته مثلاً . یجفف
جبهته)

بيرانجيه (عائداً ومعه كوب الماء) : هل تسعر بنحسب؟
ادوار : شكراً . . (يشرب جرعة من الماء ، بيرانجيه
 يستعيد الكوب .) اعذرني ، انى سخيـف . لا بأس الآن .
بيرانجيه : بل على أنا أن أعتذر . كان ينبغي أن أدرك . .
 أن الإنسان إذا كان هو نفسه مريضاً إذا كان شديد
 المرض ، منك ، أصبح من الصعب عليه أن يلقي بالآلى
 شيء آخر . . . لقد ظلمتك . وفى الواقع ، ربما كانت تلك
 الجرائم المروعة التى تقع فى المدينة المنيرة هى السبب فى
 مرضك . لابد أن ذلك قد أثر فىك ، عن وعى أو غير وعى .
 نعم ، هو ذاك ، بلا شك ، ما يـضـنـيك . يجب ألا تسرع فى
 الحكم على الناس ، انى اعترف بهذا . فالمرء لا يستطيع أن
 يعرف قلوب الناس . . .

ادوار (ناهضاً) : انى أتجمد من البرد عندك . .
بيرانجيه : لا تنهض . فسأحضر لك غطاء .
ادوار : من الأفضل أن نخرج لنزهة صـفـرة ، كي
 تستنشق الهواء . لقد انتظرتك هنا ، فى البرد ، مدة طويلة
 جداً . ولا شك أن الجو أدفاً فى الخارج .
بيرانجيه : انى فى غاية التعب ، معنويآ ، فى غاية الهبوط .
 كنت أفضل أن أنصرف إلى النوم . . . على كل حال ،
 ما دمت تحرص على النزهة ، فسأرافقك رغم ذلك قليلاً !
ادوار : أنك عظيم الاحسان ! (يعيد إلى رأسه قبعته ،
 وهى من اللباد يطوقها شريط أسود ، ويشد أزرار معطفه
 القاتم وينفض ما علاه من غبار ، بينما يكبس بيرانجيه رأسه
 فى قبعته أيضاً . يتناول ادوار حقيبتة السوداء الثقيلة
 المشموة . يسبقه بيرانجيه الذى أدار له ظهره وهو يمشى ،
 وعندما يقترب ادوار من المائدة ، ويريد أن يمر بحقيبتة من
 فوقها ، تفتح الحقيبة وينقلب جزء من محتوياتها على

المائدة . وأول تلك المحتويات صور فوتوغرافية كثيرة الحجم (حقيبتى !

بيرانجيه (مستديرا ليستطلع الضجة) : ماذا .. آه ..
(يندفعان فى وقت واحد نحو الحقيبة .)
ادوار : دع عنك ، دع .

بيرانجيه : بل دعنى ، انتظر ، سوف أساعدك .. (يلمح
الصور .) الا .. الا .. ما هذا الذى لديك ؟ (يمسك
بأحدى الصور . ادوار يحاول - دون أن يفرض فى الإنفعال
مع ذلك - أن يستردها منه ، وأن يخفى ، بيديه ، الصور
الأخرى التى تشاب من الحقيبة ، وأن يدخلها فيها .)
بيرانجيه (والهم يفلت الصورة من يده ، وانما يتطلع
اليها ، رغم معارضة ادوار) : ما هذا ؟
ادوار : صورة بلا شك .. صور ..

بيرانجيه (وهو ما زال ممسكا بالصورة ناظرا اليها) :
انه رجل عسكرى ، ذو شارب ، وأشرطة .. كولونيل
بنياشينه ، ووسام الشرف .. (يتناول صورة أخرى .)
هذه صور أخرى ! وانما نفس الوجه !

ادوار (ناظرا ، هو أيضا) : نعم .. فعلا .. انه كولونيل .
(يبدو عليه أنه يريد أن يستولى على الصور ، بينما تواصل
صور أخرى عديدة الانسياب على المائدة .)

بيرانجيه (بحزم) : دعنى انظر ! (يمشى فى الحقيبة ،
ويخرج منها صورة أخرى ، ويحقق من جديد فى واحدة
منها .) انه وجه حسن . تعبير أدعى الى التحنن . (يخرج
صورة أخرى . ادوار يجفف جبهته) ما معنى هذا ؟ انما
هذه هى الصورة المنشودة ، صورة الكولونيل ! كانت معك
هنا .. ولم تحدثنى عنها أبدا ؟

ادوار : اننى لا انظر كل الوقت فى حقيبتى .

بيرانجيه : انها حقيبتك ، مع ذلك ، وانت لا تفارقها أبدا .

ادوار : ليس هذا سببا ..

بيرانجيه : بالاختصار .. لنتهز الفرصة . ما دمنا فيها فلنواصل البحث .. (ينس بيرانجيه يده في الحقيبة السوداء الضخمة . الدوران يفعل مثله ، بيده الشديدة البياض ، المقوساة الأصابع ، التي تظهر الآن بصورة واضحة جدا .) مزيد من صور الكولونيل .. وأكثر .. وأكثر .. (إلى الدوران الذي راح يخرج كذلك أشياء من حقيبته ، وقد بدا عليه العجب) وهذا ؟

ادوار : هذه زهور صناعية ، كما ترى .

بيرانجيه : توجد منها كميات ! .. وهذا ؟ .. انظر ، هذه صور مخلة بالحياء .. (ينظر إليها . ويهضي ادوار لينظر إليها من فوق كتف بيرانجيه .) شيء قبيح !
ادوار : عفوا ، (يبتعد خطوة .)

بيرانجيه (يلقى الصور المخلة بالحياء ، ويواصل الجرد) : حلوى .. حصالات .. (كل منهما يخرج من الحقيبة أشياء مختلفة .) .. ساعات للأطفال ! .. ولكن لماذا جاءت مثل هذه الأشياء هنا ؟

ادوار (متلعثما) : أنا .. أنا لا أدري .. أنا كما أقول لك ..

بيرانجيه : ماذا تفعل بها ؟

ادوار : لا شيء . ماذا يمكن أن يفعل المرء بها ؟

بيرانجيه (ولا يزال يخرج من الحقيبة - وهي من قبيل حقائب الحواة التي لا تنضب - أشياء من كل صنف كميات خيالية ، تنتشر على سطح المائدة بأكمله ، كما يسقط جزء منها على الأرض .) : دبائيس .. ودبائيس .. وأقلام ..

وهذا .. وهذا .. ما هذا ؟ (بعض الاشياء تتطير ، واخرى يطوح بها بيرانجيه في كل ناحية من الغرفة .)
ادوار : هذا ؟ .. لا أدري .. لا أعرف أى شيء ..
لا علم لى .

بيرانجيه (وهو يريه علبة) : وما هذا ؟
ادوار (وهو يأخذ العلبة في يده) : يبدو لى ان هذا
الشيء علبة ، أليس كذلك ؟
بيرانجيه : فعلا . انها علبة من الورق المقوى . فما
الذى يوجد في داخلها ؟

ادوار : لا أدري ، لا أدري . لا أستطيع أن أجيبك .
بيرانجيه : افتحها ، هيا ، افتحها !
ادوار (بدون مبالاة تقريبا) : ان كنت ترغب في ذلك ..
(يفتح العلبة .) ليس فيها شيء ! آه ، بلى ، فيها علبة
أخرى .. (يخرج العلبة الصغرى .)
بيرانجيه : وفي هذه العلبة الأخرى ؟
ادوار : انظر أنت .

بيرانجيه (وهو يخرج علبة ثالثة من العلبة الثانية) :
علبة أخرى . (ينظر في العلبة الثالثة .) في داخلها ، علبة
أخرى أيضا . (يخرجها) وفي داخلها ، علبة كذلك ..
(ينظر في العلبة الرابعة .) وفي داخلها ، علبة كذلك ..
وهكذا ، الى اللانهاية ! فلستعرض غيرها ..
ادوار : آوه ، اذا شئت .. ولكننا لن نستطيع ان نتنزه
بعد ذلك ..

بيرانجيه (وهو يخرج علبا) : علبة علب .. علبة علب ..
علبة علب .. علبة علب !

ادوار : الا شيء سوى العلب ..
بيرانجيه (يخرج من الحقيبة حفنة من السجائر)

سجائر !

ادوار : هذه سجائري ! . . (يجمعها ، ثم يتوقف) تفضل
وخذ واحدة منها . .

بيرانجيه : شكرا ، انا لا ادخن . (ادوار يضع حفنة
السجائر في جيبه ، وهناك سجائر أخرى متناثرة على
المائدة ، وتقع على الأرض .)

بيرانجيه (يحدق في ادوار) : ان هذا هو متاع الوحش !
كان معك في الحقيقة !

ادوار : ما كنت أعرف عن ذلك شيئا ، ما كنت أعرف
شيئا ! (يتظاهر باستجماع الحقيقة .)

بيرانجيه : لا ، لا . أفرغ كل شيء ! هيا !

ادوار : هذا يعينى . قم أنت بذلك ، ولكنى لا أرى
انه ضرورى . (يهده اليه الحقيقة مفتوحة .)

بيرانجيه (وهو يخرج علبة أخرى) : وهذه أيضا مجرد
علبة .

ادوار : انك تراها .

بيرانجيه (وهو ينظر في الحقيقة وقد أفرغت .) : ليس
بها الآن شيء !

ادوار : هل أستطيع ان أعيد الأشياء ؟ . (يبدأ في جمع
الأشياء ووضعها بغير نظام في الحقيقة)

بيرانجيه : متاع الوحش ! انه متاع الوحش ! أمر غريب . .

ادوار (بنفس الطريقة) : أى نعم . . بحقي ، لا يمكن
ان ننفي ذلك . . هذا صحيح ؛

بيرانجيه : وكيف يوجد في حقيبتك ؟

ادوار : حقا انا . . ماذا تريد أن أقول ؟ . . هناك أمور
يستعصى على الانسان شرحها . . هل أستطيع أن أعيد
الأشياء الى مكانها ؟

بيرانجييه : ربما ، نعم ، على كل حال . . فيم عساه تنفعنا ؟ (يشرع في مساعدة ادوار على ملء الحقيبة بالأشياء التي أخرجها منها ، ثم ، فجأة ، في اللحظة التي يهمل فيها بأن يضع في الحقيبة العلبة الأخيرة التي لم يفحصها ، تنفك العلبة ، وتتناثر منها أمامنا على المائدة أوراق شتى ، وكذلك عشرات من البطاقات . ويجرى كل هذا بأسلوب الحاوي) . أنظر ، هذه بطاقات !

ادوار : نعم . بطاقات . . في الواقع ، شيء غريب . . يا للعجب !

بيرانجييه (وهو يفحص البطاقات) : لابد أن هذا هو اسمه .

ادوار : اسم من ؟

بيرانجييه : اسم المجرم ، يا أخى ، اسم المجرم !

ادوار : هل تظن ؟

بيرانجييه : هذا شيء في نظري لا يقبل الجدل .

ادوار : حقا ؟ لماذا ؟

بيرانجييه : ألا ترى بوضوح ؟ فان جميع البطاقات تحمل

نفس الاسم . انظر ، اقرأ ! (يمد البطاقات إلى ادوار .)

ادوار (وهو يقرأ الاسم المكتوب على البطاقات .) :

بالفعل . . نفس الاسم . . على كل منها نفس الاسم . . هذا صحيح !

بيرانجييه : آه . . لكن . . الأمر يزداد غرابة ، يا عزيزى

ادوار ، نعم (ينظر إليه) . يزداد غرابة !

ادوار : هل تظن أن . .

بيرانجييه (وهو يخرج من العلبة الأشياء التي يذكرها) :

وهاهو ذا عنوانه . . (يسأل ادوار سعالا خفيفا ، ينهم عن

شيء من القلق .) وبطاقته الشخصية . . وصورته ! . .

ألكه هو . . أن صورته الشخصية مدبسة مع صورة

الكولونيل ! (باضطراب متزايد) وقائمة بها .. بها ..
أسماء جميع الضحايا .. وعناوينهم !.. سنقبض عليه
يا أدوار ، سنقبض عليه !

أدوار (وهو يخرج - لا ندرى من أين - صندوقا
صغيرا ، لعله يخرج منه جيبه ، أو من أحد كهبيه ، كما
يفعل الحاوي . ويمكن أن يكون الشيء الذى يخرج منه علبة
مسطحة ، تتخذ شكل المكعب عندما يظهرها) : يوجد هذا
أيضا .

بيرانجيه (بانفعال) : أرنى ، بسرعة ! (يفتح الصندوق
الصغير ، ويخرج منه أوراقا أخرى ، ينشرها على المائدة .)
دفتر .. (ينتصفحه .) « ١٣ يناير : اليوم سأقتل ..
١٤ يناير : ألقيت مساء أمس ، فى الحوض ، امرأة عجوزا ،
كان لها منظار فى حلقتي من الذهب .. » انها يوميات
الخاصة ! (يطوى الصفحات لاهثا ، بينما تلوح على أدوار
علائم الحرج .) « ٢٣ يناير : لا يوجد ما أقتله اليوم .
٢٥ يناير : لا يوجد ما أمضغه اليوم أيضا !.. »

أدوار (فى وجل) : ألسنا نتطفل على أسرار ؟

بيرانجيه (يواصل القراءة) : « ٢٦ يناير : مساء أمس ،
بعد أن فقدت الأمل واشتد بى الضيق ، تمكنت من دفع
شخصين الى الإطلاع ، قرب الحوض ، على صورة
الكولونيل .. فبراير : غدا ، أظن أننى أستطيع أن أدفع
فتاة شقراء ، بدأت محاولتى معها منذ مدة ، الى النظر
لصورة الكولونيل .. » آه ، إنما تلك هى « داني » ،
التعسة ، خطيبتى .

أدوار : هذا يبدو لى من المحتمل .

بيرانجيه (وما زال يقلب صفحات دفتر) : بل انظر ،
يا أدوار ، انظر ، انه شئ لا يصدقه العقل ..

ادوار (وهو يقرأ من فوق كتف بيرانجيه) : علم جنائى .
هل لهذا معنى ؟

بيرانجيه : هذا يعنى : بحث فى الجريمة . . ان لدينا هنا
مبادئه ، نظريته . . وهاهو ذا الكلام ، أترى ؟ اقرا اذن . .

ادوار (بنفس الطريقة ، يقرأ) : اعترافات مفصلة .
بيرانجيه : لقد أمسكنا به ، ذلك البائس !

ادوار (بنفس الطريقة ، يقرأ) : مشروعات المستقبل .
خطة العمل .

بيرانجيه : داني ، يا حبيبتي ، سوف يؤخذ بشارك !
(الى ادوار .) عندك هنا كل الأدلة . اننا نستطيع تدبير
القبض عليه . هل تدرك ذلك ؟

ادوار (متلعثما) : لم اكن اعرف . . لم اكن اعرف . .
بيرانجيه : لقد كان فى مقدورك أن تنقذ نفوس كل أولئك
الناس !

ادوار (بنفس اللهجة) : نعم . . اتبين ذلك . انى فى
غاية الخجل . لم اكن اعرف . انى لا اعرف ابدا ما عندى ،
فانا لا انظر فى حقيبتى .

بيرانجيه : هذا اهمال معيب .

ادوار : حقا ، انى اعتذر عنه ، انى آسف .

بيرانجيه : ولكن ، مهما يكن ، فان هذه الأشياء لم تدخل
وحدها فى قلب الحقيقة . لقد وجدتها أنت ، لقد تسلمتها .

ادوار (وهو يسعل ، ويجهف وجهه) : . .

انا خجلان . . لا أستطيع أن أشرح لنفسى . . لا أفهم . .
انا . .

بيرانجيه : لا تحمر خجلا . انك تثير شفقتى عليك ،
يا عزيزى . هل تدرك أنك أنت - جزئيا - مسئول عن
اغتيال « داني » ؟ . . وعن كثيرين غيرها !

ادوار : اغفر لى . . فما كنت أعرف .

بيرانجيه : والآن ماذا بقى علينا أن نفعل ؟ (زفرة ضخمة)
لا ينفع ، للأسف ، التحسر على ماسلف . ان ندمك لا يجدى .
ادوار : أنت على حق ، أنت على حق ، أنت على حق .
(ثم يتذكر فى عناء) آه ، نعم ، انى أتذكر الآن . تلك واقعة
طريفة ، أعنى لا ، تلك واقعة غير طريفة . فلقد ارسل لى
المجرم يومياته الخاصة ، مذكراته ، وبياناته ، منذ وقت
طويل ، راجيا منى أن أنشرها فى مجلة أدبية . كان ذلك
قبل قيامه بعمليات القتل .

بيرانجيه : ولكنه قد سجل الأفعال التى أتمها .
وبالتفصيل . انه أشبه بمحضر يثبت كل ما جرى .

ادوار : لا ، لا . فى ذلك الوقت ، كانت مجرد تكهنات . .
تكهنات خيالية . ولقد غاب عن ذهنى تماما كل هذا . وأظن
انه هو نفسه ما كان يظن أنه سينفذ جميع هذه الجرائم .
لقد جرفه خياله . ولا بد أنه لم يفكر فى تحويل مشروعاته
الى أفعال الا فيما بعد . أما أنا ، فقد اعتبرت هذا أحلاما
لا تؤدي الى نتيجة . .

بيرانجيه (رافعا يديه نحو السماء) : يالك من ساذج !
ادوار (مواصلا حديثه) : . . شيئا مثل روايات القتل ،
مثل الشعر ، مثل الأدب . .

بيرانجيه : ان الأدب يؤدي الى كل شيء . أما كنت تعرف
ذلك ؟

ادوار : لا يمكننا أن نمنع الكتاب من أن يكتبوا ، ولا
الشعراء من أن يحلموا .

بيرانجيه : كان ينبغي .

ادوار : يؤسفنى أننى لم أفكر فى المسألة ، وأننى لم أقرن
بين هذه الأوراق وبين الأحداث . .

(أثناء حوارهما ، يبدأ بيرانجيه وادوار في جمع الأشياء وإعادة وضعها في الحقيبة بقدر المستطاع ، وبعد تناثر على المائدة ، وعلى الأرض ، وعلى قطع الآثاث الأخرى) .

بيرانجيه (وهو منهمك في وضع الأشياء داخل الحقيبة) :
والعلاقة مع ذلك إنما هي العلاقة بين النية والتنفيذ ،
لا أكثر ولا أقل ، هذا واضح وضوح النهار ..
ادوار (يخرج من جيبه مظروفا كبيرا) : ويوجد هذا
أيضا ! .

بيرانجيه : ما هذا ؟ (يفتح المظروف) آه ، إنها خريطة ،
رسم تخطيطي .. وهذه العلامات التي على الرسم ، ماذا
تعني ؟

ادوار : اظن أنها .. نعم نعم .. إنها الأماكن التي لابد
يتواجد فيها السفاح ..

بيرانجيه (وهو يفحص الخريطة المبسوطة على المائدة) :
وهذا ؟ الساعة التاسعة والرابع ، الساعة الواحدة وسبع
وعشرون دقيقة ، الساعة الثالثة وخمس وأربعون دقيقة ،
الساعة السادسة وثلاث دقائق ..

ادوار : هذا جدول ، فيما يبدو . قد حدده مقدما .
مكانا مكانا ، ساعة ساعة ، دقيقة دقيقة .

بيرانجيه : الساعة الحادية عشرة ، وتسع دقائق ،
وثانيتان ..

ادوار : نانية نانية . انه لا يضيع وقته (قال ذلك في
خليط من الإعجاب واللامبالاة) .

بيرانجيه : فلا نضيع وقتنا نحن أيضا . الأمر بسيط .
لنبلغ الشرطة . لا يبقى بعد ذلك إلا أن يلتقطوه . ولكن
علينا أن نسرع ، فمكاتب المحافظة تفلق أبوابها قبل الليل .

إذا تأخرنا، لن نجد هناك أحدا . ومن هنا للتصباح ، فـد
يستطيع أن يغير خطته . هيا بسرعة تقابل المهندس ،
المأمور .

ادوار : لقد صرت رجل عمل . أما أنا . .

بيرانجيه (هو اصلا تلامذه) : ولنطلعه على الأدلة !

ادوار (في فتور) : لا مانع عندي .

بيرانجيه (منعلا) : اذن ، هيا بنا . ايس لدينا نازية
واحدة نضيعها ! فلننجز وضع هذه الاشياء . . (يكدمسان
الاشياء حيثها يستطيعان ان يجدا لها مكانا ، في الحقيقة
الضخمة ، في جيوبهما ، في بطانة كل من القبعتين .) لا ينبغي
أن ننسى ورقة من هذه الوثائق . . بسرعة .

ادوار (وقد ازداد فتورا) : طبعاً ، طبعاً .

بيرانجيه (وهو ينتهي من ملء الحقيقة ، واعمل بعض
البطاقات وبعض الاشياء ما زالت هناك على الأرض ، وعلى
المائدة . .) : بسرعة ، لا تنم ، بسرعة ، بسرعة . . تلزمنا جميع
الأدلة . . هيا ، اقلها الآن بإحكام . . اقلها بالمفتاح . .
(يؤدي هذا التعجل بادوار الى شيء من الاضطراب فلا
يفتح - بمفتاحه الصغير - في اغلاق الحقيقة ، يتوقف ريثما
يسهل .) بدورتي المنتاح ! . . ليس هذا وقت السعال !
(يحاول ادوار أن يكتم سعاله ، وهو يواصل نفس الحركات .)
آه ، يالك من خائب ، ليس لديك أى قوة فى أصابعك .
شيئاً من الحياة ، يا أخى ، شيئاً من الحياة ! . . هيا تحرك .
آه ، أعطني هذا . . (يأخذ من يدي ادوار المفتاح الصغير
والحقيقة)

ادوار : اءلذرنى ، انى حقاً لست ماهر اليدين . .

بيرانجيه : هذه حقبتك ، وانت لا تعرف حتى كيف
تقلها . . دع لى المفتاح ، يا أخى . (ينتزع - بعنف -

المفتاح من يدي ادوار الذي كان قد استعادته منه . (

ادوار : خذه ، هاهو ذا ، امسك .

بيرانجيه (يفلق الحقيقة) : كيف يخطر لك ان تقفلها

بلا مفتاح ؟ انتهينا . احتفظ به ..

ادوار : شكرا .

بيرانجيه : ضعه في جيبك . والا فسوف تنقده . (ادوار

يطيع امره .) هو ذاك . هيا بنا .. (ادوار يتناول

الحقيقية . بيرانجيه يتجه نحو الباب ، يتبعه ادوار كارها ،

يلتفت بيرانجيه الى ادوار .) لا تدع النور موقدا ، اطفئ

من فضلك . (ادوار يستدير . يذهب لاطفاء النور . لكي

يقوم بذلك ، يدع الحقيقية ، ثم ينسأها بجوار الكرسي .

يشبقي ان يجرى هذا بكل وضوح .) هيا بنا .. هيا بنا ..

تحرك .. تحرك ..

(يخرجان بسرعة عفاية . يسمع صوت الباب وهو

ينفتح ثم يهاد اغلاقه صفقا . يسمع وقع اقدامهما في

مدخل البيت . ونراها في الشارع ، بينهما تباع

سمعنا من جديد جلبة المدينة . وفي اهرأعهما يصطدمان

بالبوابة التي نراها امامنا . بيرانجيه يجر ادوار

من يده .)

البوابة (بعد ان اصطدما بها ، بينهما يتوارى بيرانجيه

وادوار .) : شيء عجيب ! (تلفظ باقى العبارة بطريقة غير

مفهومة .)

(ستار)

أوجين يونسكو الفصل الثالث

المنظر

مكان أشبه بشوارع كبير تعلو هامش المدينة. في مؤخرة المنظر، الأفق مسدود، ففي هذا الموضع يبدو أن الشارع يصعد، نحو الجانب الذي لا نراه. وهذا الجزء المرتفع، ينبسط بضعة أمتار، ويحيط به سياج. وفي ناحية المسرح النى يمكن أن يلمحها الناظر من القاعة، يؤدي سلم يحيط به سياج كذلك، إلى رصيف الطريق العلوى. وتلك الدرجات الحجرية القليلة ينبغي أن تشبه ما يوجد مثلها في بعض شوارع باريس القديمة، كشارع «جان دي بوفيه». وفيما بعد، تظهر في المؤخرة، الشمس الفاربية، حمراء، ضخمة، ولكن بلا ضياء. الاضاءة لا تصدر عن الشمس. وهكذا يقوم، في المؤخرة، ما يشبه جدارا يتراوح ارتفاعه بين متر ونصف ومترين، حسب ارتفاع خشبة المسرح. وفي الجزء الثانى من هذا الفصل، ينبغي أن يتزاح هذا الجدار، مسفرا عن منظر يمتد مع البصر، وهو منظر شارع طويل، في أقصاه بعض المباني، فهناك مبنى المحافضة. ويمكن أن تكون خشبة المسرح منحدرية، وفي هذه الحال، لا حاجة إلى السلم.

إلى يمين خشبة المسرح، في المقدمة، مقعد صغير. قبل رفع الستارة، يسمع هتاف يتردد: «عاش أوز أم بيبي! عاش أوز أم بيبي!» ترتفع الستارة.

عند رفع الستارة، تروى في مؤخرة المسرح، على الجزء المرتفع، جذع أم بيبي، وقد احتجب نصف جسمها الأدنى وراء الجدار الحاجز. إنها امرأة من نسوة الشعب بدينة، تشبه البوابة التي ظهرت في الأنصل السابق. وهى تخطب في جمهور لا نبصره، بل نبصر علمين أو ثلاثة أعلام تحمل في

وسطها صورة اوزة . وتتجلى الأوزة البيضاء على صفحة
الأعلام الخضراء .

أم بيبي (وهي تحمل كذلك علما أخضر في وسطه أوزة .) :
أيها الشعب ! أما أنا ، التي أربي أوزا عموميا ، فإن لي خبرة
طويلة بالحياة السياسية . اعهدوا لي بعربة الدولة التي
سوف أوجهها وسوف يجرها أوزي . امنحوني نفقتكم .
اني أنا وأوزي نطلب الحكم .

(هتافات من الجمهور . الاعلام تهتز : ((تحيا أم بيبي !
يحيا أوز أم بيبي !)) . يدخل بيرانجيه من الناحية
اليمنى ، يتبعه أدوار . أدوار يلهث . بيرانجيه يجره
وراءه ، وهو يجذبه من كفه . وهكذا يعبران خشبة
المسرح ، من اليمين الى اليسار ، ومن اليسار الى
اليمين . عندهما يتكلم أدوار وبيرانجيه ، لا يسمع
كلام أم بيبي ، وانما نراها تلوح وتفتح فمها الى أقصاه ،
بينما تنشئ هتافات الجمهور الخفى مجرد بطانة
خافتة . على أن خطبة أم بيبي والاصوات الصاخبة
تسدع من جديد - طبعاً - في فجوات الحوار بين
أدوار وبيرانجيه)

بيرانجيه : هيا بنا ، أسرع ، أسرع اذن . ابدل مجهودا
صغيراً آخر . انها هناك ، في آخر الشارع . (يشير
باصبعه) . هناك ، مباني المحافظة ، يجب أن نصل في
الموعد ، قبل انصراف الموظفين ، بعد نصف ساعة سيفوت
الأوان . ولن يكون هناك المهندس ، أعني المأمور . لقد قلت
لك لماذا لا يمكن أن ننتظر الى غد . فمن هنا الى غد ، في
مقدور القاتل أن يلوذ بالفرار . . أو أن يملك بمزيد من
الضحايا ! لابد أنه يحس بأننى اتعقبه .

أدوار (لاهثاً ، ولكن يادب) : ثانية من فضلك ، لقد
جعلتنى أجرى بسرعة فائقة

أم بيبي : أيها المواطنون والمواطنات ..
 بيرانجيه : هيا بنا ، هيا بنا ..
 أدوار : دعني أسترح ... لست أقوى على الحركة .
 أم بيبي : أيها المواطنون والمواطنات ..
 أدوار : لست أقوى .
 بيرانجيه : طيب . خذ لك ثانية واحدة ، لا أكثر . (يظل واقفاً ، بجوار المقعد .) انظر ، ما هذا التجمع ؟
 أدوار : حفل انتخابي .
 أم بيبي : أيدونا بأصواتكم ! أيدونا بأصواتكم !
 بيرانجيه : يخيل إلى أنها بوابة منزلي .
 أدوار : أنك واهم . هذا زعيم سياسي ، أم بيبي مربية الأوز . شخصية قوية .
 بيرانجيه : يبدو لي أنني أعرف هذا الاسم . ولكن لا وقت عندي لسماعها .
 أدوار (إلى بيرانجيه) : اجلس لحظة ، أنك متعب .
 أم بيبي : أبها الشعب ، أنك مخدوع . وسوف ينقشع خداعك .
 بيرانجيه (إلى أدوار) : لا وقت عندي للتعب .
 صوت الجمهور : يسقط الخداع ! يحيا أوز أم بيبي !
 أدوار (إلى بيرانجيه) : آسف . ثانية واحدة . لقد قلت : ثانية واحدة .
 أم بيبي : لقد ربيت من أجلكم سرباً بأكمله من كشاف الخداع . لسوف يكشفون خداعكم . ولكن لا بد دون كشف الخداع من الخداع . لا بد لنا من خداع جديد .
 بيرانجيه : لا وقت لدينا ، لا وقت لدينا !
 صوت الجمهور : يحيا خداع كشاف الخداع .
 بيرانجيه : ليس لدينا لحظة واحدة نضيعها ! (يجلس رغم ذلك وهو ينظر إلى ساعته .) الوقت يمر .

قاتل بلا أجر

صوت الجمهور : يحيا الخداع الجديد !

بيرانجيه (الى ادوار) : هيا بنا .

ادوار (الى بيرانجيه) : لا تقلق . ان الساعة تشير الى ما كانت تشير اليه منذ وهلة ، كما ترى .

أم بيبي : اتى أعدكم بتغيير كل شيء . وفي سبيل تغيير كل شيء ينبغي ألا يتغير أى شيء . فالأسماء هي التي نغيرها ، لا الأشياء . ان أساليب الخداع القديمة لم تصمد للتحليل النفسى ، والتحليل الاجتماعى .. وأما الخداع الجديد ، فسيصمد لكل هجوم . لن يكون هناك الا حالات من سوء التفاهم . لسوف نتقن الكذب .

بيرانجيه (الى ادوار) : لنمض .

ادوار : اذا شئت .

بيرانجيه (وهو يرى أن ادوار - الذى ينهض فى عناء -

ليست معه حقيبتك) : أين حقيبتك ؟

ادوار : حقيبتي ؟ أية حقيبة ؟ آه ، نعم ، حقيبتي . لابد انها على المقعد . (يلقي نظرة على المقعد .) لا . انها ليست على المقعد .

بيرانجيه : هلا شيء غريب ! انها دائما معك !

ادوار : ربما كانت تحت المقعد .

أم بيبي : لسوف نزيل عن الانسانية ما تعانى من انفصالية !

بيرانجيه (الى ادوار) : فابحث عنها ، ابحث عنها اذن .

(يأخذان فى البحث عن الحقيقة ، تحت المقعد ، ثم على خشبة المسرح ، فى الأرض .)

أم بيبي (الى الجمهور) : ولشهداء الانسانية من الانفصالية

ينبغى بث الانفصالية فى كل انسان بصفة شخصية .. وسوف تنالون الوجبة الشعبية !

صوت الجمهور : سننال الوجبة الشعبية وأوز أم بيبي

بيرانجيه (الى ادوار) : ابحث معي ، بسرعة : ترى أين تركتها ؟

أم ييب (الى الجمهور) ، بينما بيرانجيه وادوار يبحثان عن الحقيقة ، بيرانجيه في حرارة المحموم ، وادوار متراخيا :
 لن نضطهد ، بل سوف نعاقب وسوف ننصف . لن نستعمر الشعوب ، بل سوف نحتلها لكي نحررها . لن نستغل البشر ، بل سوف ندفعهم الى الانتاج . والعمل الاجباري سوف يسمى عملا اختياريا . والحرب سوف تسمى السلام ، وكل شيء سوف يتغير ، بفضلنا وفضل اوزي .
بيرانجيه (وهو لا يزال يبحث) : شيء لا يتصوره العقل ، شيء لا يتصوره العقل ، أين تراها قد ذهبت ؟ أرجو الا تكون قد سرقت . والا فهي كارثة ، فهي كارثة !

صوت الجمهور : عاش اوز ام ييب ! عاشت الوجبة الشعبية !

أم ييب : وبعد اصلاح الطفيلان ، سوف يسمى نظاما وحرية . ان شقاء جميع الناس فيه سعادة الانسانية !
بيرانجيه : انك لا تدرك ، انما هي كارثة ، فنحن لا نستطيع ان نفعل أي شيء دون الأدلة التي جمعناها ، دون الوثائق .
 نحن يصدقنا أحد .

ادوار (الى بيرانجيه ، متراخيا) : لا تقلق بذلك ، سوف نجدها . فلنبحث في هدوء . ان الهدوء هو كل ما يلزمنا .
(يستأنفان البحث .)

أم ييب (الى الجمهور) : سوف تكون وسائلنا أكثر من علمية ، سوف تكون « فوق علمية » ! سوف نقيم حججنا على الفضب والحمية . وسوف تناولون الوجبة الشعبية !
صوت الجمهور : عاشت أم ييب ! عاش الاوز ! عاش الاوز !

صوت ينطلق من الجمهور : بفضل أم ييب ، سوف تستفي

من الانفصالية .

أم بيبي : والموضوعية موضوعية ذاتية في عهد النظرية « فوق العلمية » .

يرانجيه (وهو يلوى يديه ، الى ادوار) : هذه فعلة من تدبير المجرم .

ادوار (الى يرانجيه) : طريف ما تقوله أم بيبي !

صوت الجمهور : تحيا أم بيبي !

يرانجيه (الى ادوار) : انى أقول لك انها فعلة دبرها المجرم .

ادوار (الى يرانجيه) : هل تظن ؟ (يظهر من الناحية اليسرى ، حاملا حقيبة في يده ، رجل سكران الى اقصى درجة ، يرتدى حلة سوداء « فراك » وعلى راسه قبعة مرتفعة .)

الرجل : انى . . (شهقة) انى من انصار (شهقة) . . رد الشرف للبطل .

يرانجيه (وقد لمح الرجل) : هاهى ذى الحقيبة ! انها معه . (يتجه نحو الرجل .)

ادوار : عاشت أم بيبي !

يرانجيه (الى الرجل) : أين وجدت هذه الحقيبة ؟ أعد الى الحقيبة .

الرجل : هل تعارض في رد الشرف للبطل ؟

أم بيبي (الى الجمهور) : وأما عن المثقفين ،

يرانجيه (محاولا أن يشترع الحقيبة من يدى الرجل) : أيها اللص ! . . دع هذه الحقيبة !

أم بيبي (الى الجمهور) : فسوف تدفعهم الى السير بخطوة الاوزة ! عاش الاوز !

الرجل (بين شهقة وشهقة ، متشبثا بالحقيبة) : انا لم

أسرقها . انها حقيبتى .
 صوت الجمهور : عاش الازر !
 بيرانجيه (الى الرجل) : من أين أتيت بها ؟ من أين
 اشتريتها ؟
 الرجل (يهزه بيرانجيه ، وتنتابه الشهقة . الى ادوار) :
 هل تتعرف فيها حقا حقيبتك ؟
 ادوار : يخيل لى . . فيما يبدو .
 بيرانجيه : اذن أعدها لى .
 الرجل : انى من انصار البطل .
 بيرانجيه (الى ادوار) : ساعلى ! (بيرانجيه يجاهد
 الرجل .)
 ادوار : طبعاً . (يقترب من الرجل ولكنه يترك بيرانجيه
 يقاومه وحده . وينظر ناحية أم بيبي .)
 أم بيبي : وعندما تكشف الخديعة المخدوعة منذ عهد
 طويل ، لن يسمع المثقفين الا أن يحلوا عنا .
 صوت الجمهور : عاشت أم بيبي !
 الرجل : انى اقول لك انها حقيبتى .
 أم بيبي : سوف يكونون أغبياء ، وبالتالي الذكياء . سوف
 يكونون جبناء ، أى شجعاناً . مبصرين ، أى عمياناً .
 ادوار وصوت الجمهور : عاشت أم بيبي !
 بيرانجيه (الى ادوار) : ليس هذا وقت التفرج . دع
 أم بيبي .
 ادوار (الى الرجل ، بفتور) : أعد اليه الحقيبة والا
 فقل من أين اشتريتها .
 الرجل (شهقة) : اننا فى حاجة الى أبطال !
 بيرانجيه (الى الرجل) : بهت أن افلح أخيراً فى التراجع
 الحقيبة) : ماذا فى داخلها ؟

الرجل : لا أدري ، أوراق .

بيرانجيه (وهو يفتح الحقيقة) : أخيرا يا سكير !
ادوار (الى الرجل) : وماذا تعنى بكلمة بطل ؟
أم بيبي : سوف نخطو خطوات الى الوراء ، وسوف تكون
في طليعة التاريخ !

الرجل (بينما يشبش بيرانجيه في الحقيقة ويلقى عليها
ادوار - من فوق كتف بيرانجيه - نظرة شاردة) : بطل ؟
انه الذي يجرؤ على التفكير عكس التاريخ ويشور ضد عصره .
(بصوت مرتفع) تسقط أم بيبي !

بيرانجيه (الى الرجل) : اترك في غاية السكر !
الرجل : البطل يحارب عصره ، ويخلق عصرا آخر .
بيرانجيه (وهو يخرج زجاجات خمر من حقيبة الرجل) :
زجاجات خمر !

الرجل : نصفها فارغ ! هذه ليست جريمة !
أم بيبي : لأن التاريخ على حق !
الرجل (وقد دفعه بيرانجيه ، يصيح وهو يترنح ثم
يسقط مقبعا على الأرض) : نعم . . عندما ينحرف الحق . .
بيرانجيه : وهل أنت على حق ، أنت ، في أن تسكر كما
تفعل ؟ (الى ادوار) وأين حقيبتك إذن ؟

الرجل : أما قلت لك انها حقيقتي ؟ تسقط أم بيبي !
ادوار (وما زال غير مهتم وجامعا) : كيف أعرف ؟ انني
أبحث عنها ، كما ترى .

صوت الجمهور : عاشت أم بيبي ! عاش اوز أم بيبي !
انها تغير كل شيء ، ولا تغير أي شيء . انها تغير كل شيء ،
ولا تغير أي شيء ! (هتاف موزون التوقيع .)

بيرانجيه (الى ادوار) : أنت بلا عذر !
الرجل (وهو ينهض مترنحا) : تسقط أم بيبي !

ادوار (الى يرانجيه ، متباكيا) : أوه ، أشمتمنى ! لا انتهى مريض .
 يرانجيه (الى ادوار) : أعذرني ، أنا لا أقصد . أفهم حالي .

(في هذه اللحظة ، يدخل من الناحية اليمنى شيخ قصر القامة ، ذو لحية صغيرة بيضاء ، يسدو عليه الوجل ، وهو رث الثياب ، يمسك باحدى يديه مظلة واقية من المطر وبالأخرى حقيبة ضخمة سوداء ، مثل التي كانت مع ادوار في الفصل الثاني)

الرجل (مشيرا الى الشيخ) : هاهي ذى حقيبتك ! ربما كانت هي . (يندفع يرانجيه نحو الشيخ .)

أم ييب : اذا كانت الايديولوجية لا تنطبق على الواقع ، فأننا سنبرهن على أنها تنطبق ، وسيكون هذا تمام المنطق . سوف يؤيدنا المثقفون الصالحون . وضد الأساطير ، سوف يجعلون منكم خير العقاقير . وسوف نستبدل بالأساطير . .

يرانجيه (الى الشيخ) : عفوا ، يا سيدي .
 أم ييب : . . شعارات ! . . وأفكارا جديدة موروثة !
 الشيخ (وهو يحيى بقبضته) : عفوا ، يا سيدي ، أين يوجد شارع « الداتوب » من فضلك ؟

الرجل (الى الشيخ) : هل أنت من أنصار البطل ؟
 يرانجيه (الى الشيخ) : ان حقيبتك تشبه حقيبة صديقي (يشير اليه بأصبعه) السيد ادوار .
 ادوار (الى الشيخ) : أشرف بمعرفتك .

صوت الجمهور : عاشت أم ييب !
 الشيخ (الى ادوار) : شارع الداتوب ، من فضلك .
 يرانجيه : دع عنك شارع الداتوب .
 الشيخ : لا أقصد شارع الداتوب . الداتوب ثقفة .

الرجل : ولكننا في باريس .
 الشيخ (الى الرجل) : أعرف هذا . أنا نفسي ياريسى .
 يرانجيه (الى الشيخ) : انما المقصود هو الحقيقيه !
 الرجل (الى الشيخ) : هو يريد أن يرى مافى حقيبتك .
 الشيخ : هذا لا يعنى أحدا . أنا نفسي لا أعرف مافيه .
 فانى لا اتطفل على نفسى ..
 يرانجيه : بالرضا أو بالاكراه ، عليك ان ترينا ..
 (يرانجيه ، والرجل ، حتى ادوار ، يحاولون نزع الحقيبة
 من يدى الشيخ الذى يدافع ، وهو يحتج .)
 الشيخ (متخططا) : لن اسمح !
 أم بيب : لن يكون هناك مستفلون . وسوف أقوم أنا
 واوزى ..

(الجميع يندفعون ويهجمون على الشيخ محاولين
 أن يأخذوا الحقيبة : يفلح الرجل فى الفوز بالحقيبة
 أولا ، ولكن الشيخ ينتزعها من يدى الرجل ، ثم
 يستولى عليها ادوار ولكن الشيخ يستعيدها من يدى
 ادوار . ويمكن تعقيد المشهد باستخدام حقيبة الرجل
 ايضا ، وتوهم انها حقيبة الشيخ ، واظهار خيبة الأمل
 عند الوقوف على الزجاجات ، الخ)
 يرانجيه (الى ادوار) : يا أبله ! (يستولى يرانجيه على
 الحقيبة ، يأخذها الشيخ مرة أخرى ، ويتلقفها الرجل من
 يدى الشيخ .)

الرجل (يمشى نحو ادوار) : هاهى ذى . (الشيخ
 يختطفها من جديد ، ويهم بالفرار ، يمسكون به ، الخ .
 أثناء هذا المشهد كله تواصل أم بيب خطبتها)
 أم بيب : .. أنا واوزى بتوزيع الأملاك العامة . سوف
 نوزع بالإنصاف . فسوف أحتفظ بنصيب الأسد لى أنا

كاوزى ..

صوت الجمهور : يحيا الاوز !

أم بيب : .. وذلك لتدعيم الاوز حتى يتمكن من أن يجبر بمزيد من القوة عربات الدولة .

صوت الجمهور : نصيب الأسد للاوز ! نصيب الأسد للاوز !

الرجل (يصرخ في اتجاه أم بيب) : وحرية النقد !
أم بيب : وسنمشي جميعا بخطوة الاوزة .

صوت الجمهور : بخطوة الاوزة ، بخطوة الاوزة .

(يسمع وقع سير منتظم ، والجمهور الذي يصبح :

((بخطوة الاوزة ، بخطوة الاوزة)) . في هذه الاثناء

يفلح الشيخ في الفرار ومعه حقييته . يخرج من ناحية

المسرح اليسرى ، يتبعه بيرانجيه . ادوار ، الذي

يتظاهر بأنه يتبع بيرانجيه والشيخ ، لا يلبث حتى

يعود أدراجه ويستلقى على المقعد وهو يسعل سعالا

خفيفا . الرجل السكران يتجه نحوه)

الرجل (الى ادوار) : ليست الأحوال على ما يرام !

اشرب كأسا . (يهم بأن يقدم اليه خمرًا من زجاجة فرغ

نصفها .)

ادوار (متمنعا) : لا ، شكرًا .

الرجل : يلى ، يلى ، هذا مفيد . هذا يشط .

ادوار : لا أريد أن أنشط .

(الرجل يرغم ادوار على الشرب ، غير أنه يواصل

الامتناع . يسقط شيء من الخمر على الأرض ، وقد

تسقط الزجاجة أيضا وتتكسر . لا يزال الرجل يطاول

أن يدفع ادوار الى الشرب ، وهو يخاطب في الوقت

نفسه أم بيب)

الرجل (وهو سكران جدا) : لقد فعل العلم والفن

أكثر بكثير مما فعلت السياسة لتغيير عقلية الناس . ان الثورة الحقيقية تحدث في معامل العلماء ، وفي مدارس الفنانين . أينشتاين ، أوبنهايمر ، بريتون ، كاندينسكى ، بيكاسو ، بافلوف ، أولئك هم المجددون الحقيقيون . انهم يوسعون مجال معارفنا ، يجددون نظرتنا الى العالم ، يطوروننا . وعما قريب ، سوف تتيح وسائل الانتاج لجميع الناس ان يعيشوا . سوف تنحل المشكلة الاقتصادية من تلقاء نفسها . انما الثورات العامة أحقاد تنفجر بطريقة خرقاء . (يتناول زجاجة خمر أخرى من حقيبتة ويشرب منها جرعة كبيرة .) ان البنسلين ومكافحة شرب الخمر اقوى أثرا من تغيير الحكومات .

أم ييب (الى الرجل) : يا قدر ! يا سكير ! يا عدو الشعب ! يا عدو التاريخ ! (الى الجمهور) انى افصح أمامكم السكير ، عدو التاريخ .

صوت الجمهور : يسقط عدو التاريخ ! فلنقتل عدو التاريخ !

ادوار (قاهضا في عناء) : سوف نموت جميعا . هذا هو الانفصال الوحيد الخطير !

يرانجيه (يدخل ممسكا في يده بحقيبة الشيخ) : لا يوجد شيء في الحقيبة !

الشيخ (يتبع يرانجيه) : ردها لى ، ردها لى !
الرجل : اننى بطل ! اننى بطل ! (يندفع وهو يترنح نحو مؤخرة المسرح ويصعد درجات السلم ، نحو أم ييب .)
انا لا أرى ما يراه الناس ! وسأقول لهم ذلك !
يرانجيه (الى الشيخ) : هل هذه ليست حقيبة ادوار ، انى لودها لك ؟ اعذرنى .

ادوار : لا تذهب الى هناك . ان تفكر عكس ما تفكره

زمانك ، هذا ضرب من البطولة . وأما أن تجهر بذلك ،
فضرب من الجنون .

بيرانجيه : هذه ليست حقيبتك . فأين اذن حقيبتك ؟
(في هذه الأثناء ، بلغ الرجل أعلى السلم ، واقترب من أم
بيب .)

أم بيب (تبرز حقيبة ضخمة ، لم تسبق رؤيتها حتى
الآن ، وترفعها) : فلتتناقش بحرية ! (تضرب بحقيبتها رأس
الرجل .) الى ، يا أوزي ! هذا طعام لكم ، يا أوزي !

(يتصاوع الرجل وأم بيب ، ويسقطان من جانب
المنصة الآخر . وفي المشهد التالي ، يرى الناظر تارة
رأس أم بيب وتارة رأس الرجل ، وأحيانا رأسيهما
معاً ، وسط صخب هائل . الأصوات تصيح : ((تحيا
أم بيب ! يسقط السكر !)) ثم في نهاية العبارات التالية
من الحوار ، وللدرة الأخيرة ، يعود الى الظهور رأس
أم بيب وحسده ، بشعبا . وناقول أم بيب ، قبل أن
تتوارى : ((قام أوزي بتصفيته .)) أسلوب مسرح
المرائس .)

ادوار : ان العاقل يلوذ بالصمت . (الى الشيخ) اليس
كذلك ، يا سيدى ؟

بيرانجيه (وهو يلوى يديه) : فأين هي ؟ لابد لنا منها .
الشيخ : أين توجد أرصفة الدائوب ؟ تستطيع أن ترشدنى
الآن . (يسوى هندامه ، ويقفل حقيبته الفارغة ، ويستعيد
مظلته . عندما ضرات أم بيب الرجل بالحقيبة تركتها
تفتيح ، فخرجت منها علب مستطيلة من الورق المقوى
سقطت على الأرض .)

بيرانجيه : انظر ، ها هي ذى يا ادوار حقيبتك ! انها
حقيبة أم بيب . (يلوح العلب التي سقطت .) وها هي

ذى الأوراق !

ادوار : هل تعتقد ؟

الشيخ (الى ادوار) : انما هو مجنون بالحقائب ، يجرى وراءها جميعا . عم يبحث ؟ (يرانجيه ينحنى ، ويجمع الملب ، ويعود الى مقدمة المسرح ، بجوار ادوار والشيخ ، بادی الأسف .)

ادوار : انه يريد ان يجد حقيبتى !

يرانجيه (مشيرا الى الأوراق) : هذه ليست الوثائق . هذه ليست الا أوراق لعبة الأوزة !

ادوار (الى يرانجيه) : تلك لعبة ممتعة . (الى الشيخ) الا ترى ذلك ؟

الشيخ (الى ادوار) : بماذا تشغل نفسك ؟ ان ههنا هو الحقيقة .. الحقيقة التى بها الوثائق . (الى الشيخ) الأدلة ، للقبض على الجانى !

الشيخ : آه ، هو ذاك ، كان عليك ان تخبرنى بذلك من الاول !

(فى هذه اللحظة يظهر للمرة الأخيرة رأس أم بيب التى تلقى العبارة المذكورة آنفا . بعد ذلك مباشرة ، يسمع أزيز محرك سيارة كبيرة ، يطفى على أصوات الجمهور ، وعلى أصوات الأشخاص الثلاثة الموجودين على خشبة المسرح ، والذين يتناقشون وتصدر عنهم حر كات كثيرة دون أن تسمعهم . يظهر جندي من شرطة المدينة ، عملاقى القامة بلا شك ، معه عصا بيضاء ، ويضرب على رؤوس الناس المتجمهرين فى الناحية الأخرى من الجدار بحيث لا تراه)

الشرطى (نرى منه رأسته وخبطته ، وهو يضرب باحدى يديه ويشفع فى صفارة يمسكها بيده الأخرى .) : انصرفوا !

أيها السادة والسيدات ، انصرفوا ..
 (الجمهور يهتف : ((الشرطة ، الشرطة . نحيباً
 الشرطة !)) يواصل الشرطي تفريق الناس ، بنفس
 الطريقة ، يخفت صخب الجمهور تدريجياً ثم يتلاشى
 عن الأسماع . سيارة عسكرية ضخمة ، قادمة من الجهة
 اليسرى ، تسد النصف الأعلى من خشبة المسرح)
 ادوار (في غير اكتراث) : انظر ، سيارة عسكرية !
 بيرانجيه (الى ادوار) : لا تشغل نفسك بها .
 (سيارة عسكرية أخرى ، قادمة من الجهة المقابلة ،
 تكاد تسد النصف الآخر من مؤخرة المنظر ، ولا تبين
 منه سوى جزء صغير . أما الشرطي فيظل قائماً بين
 السيارتين ، مرتقماً وراء الجدار في مكان أم بيب ،
 يشرف عليهما من عل)

الشيخ (الى بيرانجيه) : انما كان عليك أن تقول انك
 تبحث عن حقيبة صاحبك ، التي بها الأدلة . فانا أعلم أين
 هي .

الشرطي (من فوق ، بين السيارتين ، وهو يصفر) :
 تفرقوا ، تفرقوا .

الشيخ (الى بيرانجيه) : لابد أن صاحبك قد نسيها
 عندك ، حين خرجتما متعجلين .

بيرانجيه (الى الشيخ) : وكيف تعرف ذلك ؟
 ادوار : صحيح ، كان واجباً على أن أظن لهذا ! فهل
 رأيتنا ؟

الشيخ : أبداً . ولكني أستنتج ذلك ، بكل بساطة .

بيرانجيه (الى ادوار) : يا لك من غافل !

ادوار : اعتذرتي .. لقد تعجلنا جداً !

(من السيارة العسكرية ينزل جندي شاب ، وفي
 يده باقة من زهر القريفل الأحمر . انه يستخرجها

كالأروحة . ويمضى فيجلس - والباقة في يده - على
قمة السيارة ، هليا رجليه)

بيرانجيه (الى ادوار) : اذهب لاحضارها ، هيذا أسرع
واحضرها في الحال . انك تخرجني عن أطواري ! أنا ذاهب
أخطر المأمور ، لكى ينتظرونا . تعجل ، واجتهد فى أن تلحق
بى بأسرع ما يمكن . المحافظة فى أقصى هذا الشارع . وفى
مهمة كهذه ، لأحب أن أكون وحدى على الطريق . انى غير
مرتاح . هل تفهمنى ؟

ادوار : أفهمك ، طبعاً ، أفهمك . (الى الشيخ) شكراً ،
يا سيد .

الشيخ (الى بيرانجيه) : هل تسمح بأن تقول لى الآن
أين يوجد رصيف الدانوب ؟

بيرانجيه (الى ادوار ، الذى لم يتحرك) : تعجل اذن ،
لا تمكث هنا . وعد بسرعة .
ادوار : سمعاً .

بيرانجيه (الى الشيخ) : لا أعرف ، يا سيد ، متأسف .

ادوار (يتجه ، بخطى بطيئة جداً ناحية اليمين ، حيث
يتواري ، وهو يقول فى تراخ) : سمعاً ، انى أنعجل ، انى
أنعجل . لحظة . لحظة .

بيرانجيه (الى الشيخ) : ينبغي أن تسأل ، ينبغي أن
تسأل ، رجلاً من رجال الشرطة .

(عند خروجه ، يكاد يصطدم بشرطى آخر ،
يظهر وهو يصفر ويؤدى كذلك اشارات بعصاه البيضاء ،

وينبغي أن يكون شامق القامة . ولهذا الغرض ، قد
يستحسن أن يتعلل أرجلا خشبية .)

ادوار (وهو يتفادى الشرطى ، الذى لا ينظر اليه) :

أوه ! عفواً يا سيدى الشرطى ! (يتواري .)

يرانجيه (الى الشيخ) : هاهو ذا واحد منهم . تستطيع أن تستفهم .

الشيخ : انه مشغول جدا . هل أجرو ؟

يرانجيه : نعم ، نعم . انه لطيف . (يتجه يرانجيه نحو مؤخرة المسرح بعد أن يصبح مرة أخيرة في اتجاه أدوار) تعجل ! (بينهما يتجه الشيخ ، في وجل شديد ، وتردد كبير ، نحو الشرطي الثاني .)

الشيخ (في وجل ، الى الشرطي الثاني) : سيدى الشرطى ، سيدى الشرطى !

يرانجيه (وقد اتجه نحو الجزء الخلفى من المنظر ، ووضع قدما فوق أول درجات السلم) : فلأسرع !

الشرطى الأول (كلامه يتخلل إطلاق صفارته . يصوب الى أسفل ، نحو يرانجيه ، عصاه البيضاء ، لكى يبتعد) : انصرف ، انصرف .

يرانجيه : شىء فظائع . لقد أنسد الطريق . محال ، محال أن أصل (يخاطب تارة شرطيا ، وتارة الشرطى الآخر) من حسن الطالع ، يا رجال الشرطة ، أنكم هنا لتنظيم المرور . انتم لا تعلمون الى أى حد يعرقلنى هذا الازدحام !

الشيخ (الى الشرطى الثانى) : معذرة ، يا سيدى الشرطى .

(لكى يخاطب الشرطى ، خلع الشيخ بغاية الاحترام قبضته وحياءه بانحناءة كبيرة ، وأما الشرطى فسلا يجيب ، وإنما يهمن فى تأدية حركات بعصاه البيضاء يرد عليها بعصاه البيضاء كذلك الشرطى الذى نراه كالمعلق من وراء الجدار ، هنا الذى لا يقصر سنوى جذعه وينفخ فى صفارته بنشاط . يرانجيه يضطرب ، فينطلق مرة نحو شرطى ، ثم يتحول نحو الآخر .)

بيرانجيه (الى الشرطى الأول) : هيا تعجل ، فانى فى حاجة الى العبور . المسألة رسالة هامة جدا ، رسالة انقاذ .

الشرطى الأول (يواصل الصغير ، ويلوح بعصاه لـ بيرانجيه لكى ينصرف) : انصرف !

الشيخ (الى الشرطى الثانى) : سيدي الشرطى .. (الى بيرانجيه) انه لا يجيب . انه مشغول جدا .

بيرانجيه : آه ، هذه السيارات التى لاتريد أن تتحرك من هنا ! (ينظر الى ساعته) لحسن الحظ ، أن الساعة تشير الى نفس الوقت . (الى الشيخ) اسأله ، عليك بسؤاله ، انه لن يأكلك .

الشيخ (الى الشرطى الثانى الذى مازال يصفى) : سيدي الشرطى ، من فضلك .

الشرطى الثانى (الى الأول) : أبعد السيارات الى الوراء ! (ضجيج المحركات ولكن السيارات لا تستقل من مكانها .) قدمها الى الامام . (نفس الضجيج .)

الجندى (الى بيرانجيه) : لو كنت أعرف المدينة ، لأرشده . ولكنى لسيت من هنا .

بيرانجيه (الى الشيخ) : السيد الشرطى لابد أن يحقق رجاءك . ذلك شرف له . كلمه بصوت أعلى . (أثناء هذا الوقت ، يواصل الجندى تحريك باقة زهوره الحمراء أمام وجهه كالمروحة .)

الشيخ (الى الشرطى الثانى) : معذرة ، يا سيدي الشرطى ، استمعنى يا سيدي الشرطى .

الشرطى الثانى : ماذا ؟

الشيخ : أود أن أسألك ، يا سيدي الشرطى ، سؤالاً متواضعاً !

الشرطى (فى صلف) : انتظر ! (الى الجندى) لماذا نزلت من سيارتك ، أنت ؟ ايه ؟
الجندى : أنا .. أنا .. لأنها تعطلت !
بيرانجيه (على حدة) : عجبنا ، للشرطى صوت المأمور .
أيهكون هو ؟ (يقترب منه ليتطلع اليه) لا . انه ليس طويل القامة هكذا .

الشرطى الثانى (من جديد ، الى الشيخ ، بينما لا يزال الشرطى الآخر ينظم حركة المرور) : وما هو سؤالك ، أنت ؟
بيرانجيه (على حدة) : لا ، ليس هو . ان صوته لم يكن على كل حال فى مثل هذه القسوة .

الشيخ (الى الشرطى الثانى) : رصيف الدانوب ، من فضلك ، انى أعذر يا سيدى الشرطى .

الشرطى الثانى (جوابه موجه فى آن واحد الى الشيخ ، وإلى الشرطى الأول ، وإلى مسائقيين لا نراهم يقفون للسيارتين : وهذا يشير ، من قبل الجميع ، حركة مضطربة ينبغي أن تكون مضحكة ، السيارتان تتحركان أيضا .) : الى اليسار ! الى اليمين ! رأسا ! الى الوراء ! الى الامام !

(الشرطى الآخر المنتصب فى أعلى المسرح - والذي لا يظهر منه دائما الا جذعه - يدير رأسه ويحرك عصاه البيضاء .. الى اليسار ، الى اليمين ، رأسا ، الى الوراء ، الى الامام . ويؤدى نفس الحركات بيرانجيه فى مكانه ، وكذلك يفعل الجندى ببساطة الزهور التى فى يده . ويهمم الشيخ بالسير نحو السيارة ، ثم نحو اليمين ، ثم رأسا ، ثم الى الوراء ، وإلى الامام .)

بيرانجيه (على حدة) : كل رجال الشرطة لهم نفس الصوت .

الشيخ (عائدا نحو الشرطي الثاني) : معذرة ، يا سيدى الشرطى ، معذرة ، ان سمعى ثقيل الى حد ما . لم أفهم بشكل واضح ما الجهة التى عينتها لى . . فأين يوجد صيف الدانوب ، من فضلك ؟

الشرطى الثانى (الى الشيخ) : انك تسخر منى ! لا ، فلعلك . .

بيرانجيه (على حدة) : المأمور كان الطف . .
الشرطى الثانى (الى الشيخ) : اذهب . . غربا . . سواء كنت أصم ، أو أبله . . حل عنى ! . . (يطلق الشرطى الثانى صفارقه عدة امرات ، ويسرف فى الحركة ، بهمد ان دفع الشيخ فترنج ، وسقطت منه عصاه .)
الجندي (ومازال فوق الدرج او على سطح السيارة) : عصاك ، يا سيد !

الشيخ (وهو يلتقط عصاه ، الى الشرطى الثانى) : لا تفضب ، يا حضرة الشرطى ، لا تفضب ! (انه خائف جدا .)

الشرطى الثانى (يواصل تنظيم المرور المشلول) : الى اليسار . .

بيرانجيه (الى الشيخ ، بينما تتحرك السيارتان قليلا فى الجزء الخلفى من المنظر ، فتوشكان - ذات لحظة - على سحق الشرطى الأول) : ان موقف هذا الشرطى موقف يصدى النفس حقا !

الشرطى الأول : انتبهوا ، يا أوغاد !

بيرانجيه (الى الشيخ) : . . ومع ذلك فمن واجبنا ان يكون مؤدبا مع الجمهور !

الشرطى الأول (الى سائقى السيارتين اللذين لا يظهران) :
الى اليسار !

الشرطى الثانى (يأمرهما كذلك) : الى اليمين ! ..
بيرانجيه (الى الشيخ) : لابد أن هذا مسجل فى اللائحة ! ..
(الى الجندى) ألا تظن ؟

الشرطى الأول (نفس الأمر) : الى اليمين !
الجندى (بلهجة صيبانية جدا) : أنا لا أعرف .. (يحركه
بواقته كالمروحة) أنا ، عندى أزهارى .
بيرانجيه (على حدة) : حينما أقابل رئيسه ، المهندس ،
سوف أكلمه فى هذا الشأن .

الشرطى الثانى (بنفس طريقته) : رأسا .
الشيخ : لا بأس ، يا سيدى الشرطى ، اعدونى .. (يخرج
من الناحية اليسرى)

الشرطى الثانى (بنفس طريقته) : الى اليسار ، اليسار !
(بينما يقول الشرطى الثانى بسرعة مطردة ، وبجهد
الى مترديد : ((رأسا ! الى اليسار ! الى اليمين ! رأسا !
الى الوداء ! الى الأمام ! الخ .)) ويردد الشرطى
الآخر الأوامر بنفس الطريقة ، مديرا رأسه الى
اليمن ، وإلى اليسار ، الخ ، كأنه الدهية .)
بيرانجيه : أظن ، يا حضرة الجندى ، أننا نسرف فى الأدب ،
ونسرف فى الخوف ، انزاء رجال الشرطة . لقد عودناهم
عادات سيئة ، والذنب ذنبنا !

الجندى (وهو يهد باقة الزهر الى بيرانجيه الذى اقترب
منه وصعد درجة أو درجتين) : انظر ، كم هى حلوة الرائحة !
بيرانجيه : شكرا ، لا . لست آخذ شيئا منها .
الجندى : انها قرنفل ، أليست كذلك ؟

بيرانجيه : نعم ، ولكن ليست هذه هى المسألة . انما يجب على حتما ان اوصل طريقى . هذه الزحمة ، انها كارثة !

الشرطى الثانى (الى بيرانجيه ، ثم يهتفى نحو الجندى الشاب الذى ابتعد عنه بيرانجيه قليلا) : انصرف !

بيرانجيه (وهو يبتعد عن الشرطى الذى أصدر اليه ذلك الأمر) : هاتان السيارتان تضايقانك أيضا ، يا حضرة الشرطى ، هذا واضح على وجهك . وانك على حق .

الشرطى الثانى (الى الأول) : صفر وحداك ، لحظة . (الجندى الأول يواصل تمثيله)

الشرطى الأول : وهو كذلك ! اذهب أنت ! بيرانجيه (الى الشرطى الثانى) : لقد أصبح المرور محالا . وهناك أشياء .. أشياء لا تتحمل الانتظار .

الشرطى الثانى (الى الجندى ، وهو يشير باصبعه الى باقة زهور القرنفل الأحمر التى مازال هذا يحركها فى يده حركة المروحة) : ليس لديك ما تفعله غير اللهو بهذا ؟ الجندى (بأدب) : لا عيب فيما أفعل ، يا حضرة الشرطى ،

فليس هذا هو الذى يمنع العربات من أن تسير . الشرطى الثانى : يا وقح ، هذا يعوق المحرك ! (يصفع الجندى ، الذى لا يقول شيئا ، والشرطى طويل القائمة جدا بحيث لا يحتاج الى صعود الدرج لكى يبلغ الجندى .)

بيرانجيه (على حدة ، فى وسط خشبة المسرح ، مستنكرا) :
أوه !

الشرطى الثانى (وهو ينتزع الأزهار من يدي الجندى ويلقيها بعيدا ، فى الكواليس) : يا مغفل ! ألا تستحي ! اركب سيارتك مع زملائك .

الجندي : حسنا ، يا حضرة الشرطي .
الشرطي الثاني (الى الجندي) : أسرع ، تحرك ، يا حيوان !
بيرانجيه (في نفس المكان) : لا .. انه يبالغ !
(الجندي وهو يصعد الى سيارته ، بمساعدة لكمة يسدها
اليه الشرطي الثاني ، وضربة بالعصا يوقعها الشرطي الأول
على رأسه)

بيرانجيه (في نفس الموضع) : لا .. انه يبالغ !
الشرطي الثاني : (الى الجنود الآخرين المفترض وجودهم
 في السيارتين ، وربما أمكنت رؤيتهم في شكل دمي أو صور
 مرسومة على المقاعد المرسومة كذلك ، في السيارتين) انتم
 تعطلون المرور ! انتم تضايقوننا بسياراتكم !
بيرانجيه (على حدة ، وهو في نفس المكان) : انا اعتبر أن
 البلد بلد ضائع اذا كان للشرطة فيه السبق على الجيش ،
 واليد الطولى .

الشرطي الثاني (ملتفتا نحو بيرانجيه) : فيم تتدخل ؟
 هل هذا شأنك ؟

بيرانجيه : انا لم اقل شيئا ، يا حضرة الشرطي ، انا لم
 اقل شيئا ..

الشرطي الثاني : من السهل تخمين ما يدور في أمخاخ
 من هم على شاكلتك !

بيرانجيه : وكيف لك أن تعرف ما ..
الشرطي الثاني : هذا شيء لا يعنك .. حاول أن تصلح
 أفكارك الفاسدة .

بيرانجيه (متلعثما) : أبدا ، يا حضرة الشرطي ، انما أنت
 تخطيء ، معذرة ، ولكن ، أبدا ، أنا لا .. اني لن .. بل
 بالعكس .

الشرطي الثاني : أولا ، ماذا تفعل هنا ؟ أرني أوراقك !
بيرانجيه (وهو يبحث في جيوبه) : نعم نعم ، كما تريد ،

يا حضرة الشرطى .. انه حقك !
 الشرطى الثانى (وهو الآن فى وسط خشبة المسرح ،
 بجوار بيرانجيه ، الذى يبدو الى جانبه - طبعاً - صغيراً
 جداً) : هيا ، بأسرع من هبلا . ليس عندى وقت طويل
 أضيعة !

الشرطى الأول (وما زال فى أعلى المنظر ، بين سيارتى
 الجنود) : وبعد ، هل تتركنى أسلك المرور وحيدى ؟
 (يصفر) .

الشرطى الثانى (يصبح نحو الأول) : لحظة . أنا الآن
 أصرف أمر السيد . (الى بيرانجيه) بأسرع من هذا . اذن ،
 هى لا تأتى ، تلك الأوراق ؟
 بيرانجيه (وقد وجد الأوراق) : ها هى ذى ، يا حضرة
 الشرطى ..

الشرطى الثانى (وهو يفحص الأوراق ثم يردها الى
 بيرانجيه) : تمام .. تمام .. مضبوط !

(الشرطى الأول يصفر ، ويشتم فى التلويح بعصاه
 البيضاء . ضجيج محركى السيارتين ، وتبتعد كل
 منهما عن الأخرى قليلاً ثم تعودان الى مكانيهما .)
 الشرطى الأول (الى الثانى) : لا يهملك . سوف نثاله مع
 ذلك ، فى المرة القادمة !

بيرانجيه (الى الشرطى الثانى ، وهو يستعيد أوراقه) :
 شكراً جزيلاً ، يا حضرة الشرطى .
 الشرطى الثانى : العفو ..

بيرانجيه (الى الشرطى الثانى الذى تاهب للانصراف) :
 الآن وقد عرفت من أنا ، وعرفت موضوعى ، أسمح لى بأن
 أسألك المشورة ، وأطلب منك المعاونة .

الشرطى الثانى : أنا لا أعرف ما هو موضوعك .
 بيرانجيه : بلى ، يا حضرة الشرطى ، ألا ترى ؟ لقد فهمت

بوضوح اننى أبحث عن القاتل . وماذا عساي أفعل غير ذلك فى هذه النواحي ؟

الشرطى الثانى : تمنعنى من تنظيم المرور ، مثلا .
بيرانجيه (دون أن يسمع هذه الصبارة الأخيرة) : .. من الممكن اللقاء القبض عليه ، فعندى كل الأدلة .. أعنى أنها مع أدوار ، وسيحضرها لى ، أنها فى حقيبتها .. أنها عندى ، من حيث المبدأ .. وريثماتصل ، على أن أذهب الى المحافظة ، وهى لاتزال بعيدة . فهل يمكن أن يرافقنى أحد ؟
الشرطى الثانى (الى الأول) : هل تسمعه ؟ انه يطالب بامتيازات !

الشرطى الأول (متوقفا عن حركته ، الى الثانى) : هل هو من أهل الفن ؟ أهو مخبر ؟
الشرطى الثانى (الى الأول) : بل ولا هذا ! آه ، من هؤلاء الأولاد ! (يصفر للمرور)
بيرانجيه : اسمعنى ، أرجوك ، المسألة جدية تماما . لقد رأيت . اننى رجل شريف .
الشرطى الثانى (الى بيرانجيه) : وماذا يعنينى من كل ذلك ؟

بيرانجيه (وهو ينتصب) : عفوا ، عفوا ، اننى مواطن ، وهذا يعنينى ، هذا يعنيننا جميعا ، فاننا جميعا مسئولون عن الجرائم التى .. على كل حال ، اننى مواطن حقيقى .
الشرطى الثانى (الى الأول) : هل تسمعه ؟ ياله من شرثار !

بيرانجيه : أسألك سؤالى مرة أخرى ، يا حضرة الشرطى (الى الشرطى الأول) وأسألك أنت أيضا !

الشرطى الأول (ولا يزال منهمكا فى تنظيم المرور)
 مفهوم .. مفهوم !

بيرانجيه (هو! صلا كلامه ، يخاطب الجندي الثاني) :
 وأسألك أنت أيضا : هل يمكن أن يرافقني أحد حتى المحافظة؟
 اننى صديق للمأمور ، للمهندس !

الشرطى الثانى : هذا ليس فى اختصاصى . انك لست غيبا ، وها أنت ذا ترى اننى من رجال المرور !

بيرانجيه (بتشجاعة أكبر) : اننى صديق للمأمور ! ..
الشرطى الثانى (مائلا نحو بيرانجيه ، يصيح فى أذنه
تقريبا) : أنا من رجال المرور !

بيرانجيه (وهو يتراجع قليلا) : نعم ، نعم ، ولكن ..
 المصلحة العامة .. السلامة العامة !

الشرطى الثانى : السلامة العامة ؟ نعتنى بها عندما نجد الوقت . المرور أولا !

الشرطى الأول : من يكون هذا الشخص ؟
بيرانجيه : مجرد مواطن ، وأؤكد لكم ..
الشرطى الأول (كلامه يتخلل صغيره) : هل معه آلة تصوير ؟

بيرانجيه : ليس معى آلة تصوير ، فتشرونى يا حضرات .
(يقلب جيوبه .) .. لست مخبرا صحفيا ..

الشرطى الثانى (الى بيرانجيه) : من حسن حظك انك لا تحمل آلة التصوير ، والا لكنت كسرت وجهك !

بيرانجيه : ان أبالى بتهديدك . ان المصلحة العامة أهم من شخصى . لقد قتل « داني » أيضا .

الشرطى الثانى : من يكون ، « داني » ؟
بيرانجيه : لقد قتلها !

الشرطى الأول (كلامه يتخلل صغيره وأشار الله وأوامره :
((الى اليمين ! الى اليسار !)) .) : انها عشيقته ..

بيرانجيه : لا ، يا سيد ، لقد كانت خطيبتى . كانت

ستصبح كذلك .

الشرطى الثانى (الى الأول) : هذا شيء عظيم . انه يريد أن يأخذ بثأر عشيقته .

بيرانجيه : لا ينبغي أن تظل الجريمة بلا عقاب !

الشرطى الأول : ما أشد عنادهم ! أواه !

الشرطى الثانى (بصوت أعلى ، وهو عائد الى بيرانجيه) :

ليس هذا شغلى ، هل تسمعنى ؟ حكايتك لا تهمنى . مادمت صاحب الرئيس ، فاذهب وقابله ، وحل عنى .

بيرانجيه (محاولا أن يناقش) : يا حضرة الشرطى .. أنا

أنا ..

الشرطى الثانى (بنفس الطريقة ، بينما يضحك الشرطى

الأول ساخرا) : .. أنا على حفظ الأمن ، فانصرف وأمن

جانبى ! انك تعرف الطريق .. (يشير الى الجزء الخلفى

من المنظر ، الذى تسميه السيارتان) .. اذن ، انجر ،

أمامك الدنيا واسعة !

بيرانجيه : حسنا ، يا حضرة الشرطى ، حسنا يا حضرة

الشرطى !

الشرطى الثانى (الى الأول ، بتهكم) : أفسح الطريق

للسيد ! (كما يسحر ساحر ، تنزّح السيارتان ، وتنحسر

مؤخرة المنظر كلها ، فالدكتور يجب أن يكون من النوع

المتحرك .) أفسح الطريق للسيد ! (اختفى الشرطى الأول

مع الجدار الخلفى للسيارتين ، وتلاحق الآن فى مؤخرة المسرح ،

شارعا طويلا جدا ، يقوم فى أقصاه - حيث الشمس الغاربة -

مبنى المحافظة . ترام مصغر يعبر خشبة المسرح ، من

بعيد .) أفسح الطريق للسيد .

الشرطى الأول (وهو يعود الى الظهور ثم يختفى مع

((الديكور)) الذى يتزاح مارا فوق سطح بيت من بيوت

الشارع الذى بزغ الآن) : هيا ، سر ! (يلوح له بأن يسير ، ويتوارى .)

بيرانجيه : فهذا هو ما أفعله !
الشرطى الثانى (الى بيرانجيه) : انى اكرهك ! (فجأة اختفى الشرطى الثانى بدوره ، وأظلم المنظر قليلا . بيرانجيه الآن وحيد .)

بيرانجيه (فى اتجاه الشرطى الثانى الذى اختفى) : بل من حقى أنا أن أقول لك ذلك ! أما الآن ، فليس لدى وقت لكى . . . ولكن سوف تبلغك اخبارى ! (يصيح مخاطبا الشرطيين المختفين .) سوف تبلغكما اخبارى !!

(الصدى يرجع : ((ما اخبارى)) . . . بيرانجيه اذن بمفرده على خشبة المسرح كلها . فى المؤخرة ، لا نرى الآن الترام المصفر . وكل شىء يشعشع بوحدة بيرانجيه ، بالفراغ الذى يكتنفه ، وبوحشة هذا الشارع العريض الممتد بين المدينة والريف . تمكن ازالة جزء من الديكور ، بقصد توسيع المنظر . وفى المشهد التالى ، يظهر بيرانجيه انه يمشى مشيا متصلا . واذا لم تكن خشبة المسرح مزودة بلوح دائر ، يستطیع بيرانجيه أن يخطو خطاه وهو فى مكانه . ثم يمكن ، مثلا ، اظهار جدارين من جديد ، وتقریبهما فى صورة ممر ، مما يوحي بأن بيرانجيه سوف يقع فى كمين . أما الضوء فلن يتغير : انه الأصيل ، بشمسبه الصهباء التى نراها ، سواء عندما يتسع المنظر أو فى أقصى الممر الذى يؤلفه بعد ذلك ((ديكور)) يمثل ما يشبه شارعا ضيقا يويلا . زمان جامد ، أصيل جامد .

فى سنيره ، يلوح على بيرانجيه قلق متزايد . انه يبدأ مشيه - ثابتا فى مكانه أولا - بخطى حثيئة فى

أول الأمر ، وبعد ذلك أكثر - بصورة مطردة - من التلفت وراءه ، وتبطين خطاه وتتردد . وبعد ذلك يتطلع الى يمينه ، وإلى يساره ، وإلى ورائه من جديد ، وفي آخر الأمر يبدو عليه أنه يريد أن يفر ، ويهم بالرجوع ثم يسيطر على نفسه بعد لآي . وإذا يقرر في غناء أن يتقدم ، يستأنف سيره منطلقا الى الأمام . وإذا كان ((الديكور)) غير متحرك ولا يمكن إبداله دون اسدال الستارة أو دون اطفاء الأنوار ، يستطيع بيرانجيه في هذه الحال أن يقطع خشبة المسرح من أحد طرفيها الى الطرف الآخر ثم يعود على أعقابيه ، وهكذا . وفي الختام ، يتقدم بحذر ، ناظرا الى كل ناحية . ومع ذلك ، قبل نهاية الفصل ، عندما يظهر آخر أشخاص المسرحية - أو يسمع أولا صوته ، أو يسمع صوته ويظهر في آن واحد - ينبغي أن يؤخذ بيرانجيه على غرة : وهكذا ينبغي أن يظهر هذا الشخص في اللحظة التي ينظر فيها بيرانجيه الى جانب آخر . ومن ناحية أخرى ، ينبغي أن يمهذ بيرانجيه بنفسه ظهور تلك الشخصية ، إذ يجب أن نحس بقرب محضرها خلال اشتداد قلق بيرانجيه .

بيرانجيه (وهو يبدأ السير - في محله مثلا ، واثنياء سيره ، يدير رأسه ناحية الشرطيين ، أي الى ((الكواليس)) اليمنى ، ملوحا لهما بقبضة يده) : أنا لا أستطيع أن أفعل كل شيء في وقت واحد . اني أتولى أمر السفاح . وسوف أتولى أمركما أيضا . (يسير مدة ثانيتين في سكون ، حيثما الخطي) ان موقفكما لا يقبل بأي حال من الأحوال ! ليس التبليغ من كرم الخلق ، ولكني سأحدث في الموضوع رغم ذلك مع المأمور الأكبر ، كونا على ثقة من هذا ! (يمشي في سكون) على شرط ألا اكون قد تأخرت ! (حفيف الريح ،

ورقة ذابلة من أوراق الشجر تتطاير ، بيرانجيه يرفع من معطفه حول عنقه) وهذه الريح الآن ، علاوة على ما أنا فيه . والنهار الذي يهبط . هل سيتمكن ادوار من اللحاق بي قبل فوات الفرصة ؟ هل سيتمكن ادوار من اللحاق بي قبل فوات الفرصة ؟ ما أبطأه ، هذا الولد ! (يهشى في سكون ، يتبدل « الديكور » أثناء سير بيرانجيه) بحسب تغيير كل شيء . أولاً ، ينبغي البدء باصلاح الشرطة . . هؤلاء الناس لا يصلحون الا لتعليمنا الأدب ، واما اذا احتجنا اليهم حقاً . . للقيام بحمايتنا . . فالى غيرهم يحيلوننا . . وبسقوطنا من حسابهم . . (يلتفت وراءه) لقد ابتعدوا الآن ، هم وسياراتهم . . فلاسرع . (يستأنف السير) نعم . . اذا لجأنا اليهم ليقوموا بحمايتنا ، فضلوا اهمالنا ! (ينظر أمامه) ينبغي أن أصل قبل الليل . يبدو أن الطريق غير مأمون . ومازال هناك بعيداً . . انه لا يقترب . . أنا لا أتقدم كما ينبغي أسير في محلي (سكون) لا نهاية لهذا الشارع ، بقضبان الترام الممتدة فيه . . (سكون) ها هي ذى مع ذلك الحواجز ، والطريق الخارجى . . (يسير في سكون) انى أرثعنى . الريح الباردة ، هي السبب . اننى كالخائف ، ولكن هذا غير صحيح . فأنا معتاد على الوحدة . . (يهشى في سكون) لقد عشت وحدى دائماً . . ومع ذلك فأنا أحب الانسانية ، ولكن من بعيد . وما العيب فى ذلك ، مادمت أهتم بمسيرها ؟ والدليل : هو اننى أعمل . . (يتنسم) أنا أعمل . . أنا أعمل . . أنا أعمل . . صعب لفظها ! على كل حال ، ربما أعرض للأخطار ، من أجلها . . ومن أجل « داني » أيضاً . وما الأخطار ؟ الإدارة سوف تحمينى . يا حبيبتي « داني » ، لقد لوث الشرطيان ذكراك . . وسيسكفران لى عن ذلك . (ينظر وراءه ، وأمامه ، ويقف) أنا فى منتصف الطريق .

تقريبا . . (يستأنف السير ، بخطى مترددة ، أثناء سيره ،
يلقى نظرات الى الوراء) ادوار ! أهذا أنت يا ادوار ؟!
(الصدى يرجع : « وا . . ١ . . وار ») لا ، انه ليس
ادوار . . بعد أن يعتقل ، ويقيد ، ويحال بينه وبين ايداء
الناس ، سوف يعود الربيع الى الأبد ، سوف تصبح جميع
المدن منيرة . . وسوف انال المكافأة . انها ليست ما أسعى
اليه . يكفي أنني أدت واجبي . . على شرط ألا اكون قد
تأخرت ، على شرط ألا اكون قد تأخرت . (حفيف الريح ،
أو صيحة حيوان ، يرانجيه يقف) وما بالي لا أرجع . .
لكي أبحث عن ادوار ؟ وغدا نذهب الى المحافظة . نعم ،
سأذهب غدا ، مع ادوار . . (يدور الى الخلف ، ويخطو
خطوة في طريق العودة) لا ، سوف يلحق بي ادوار
ـ بالتأكيد ـ بين لحظة وأخرى . (الى نفسه) فكر في
« داني » . على أن أتأثر لداني . على أن أمنع الشر ! نعم ،
نعم ، اني واثق . على أي حال ، لقد ابتعدت الآن جدا ،
والظلام أشد في طريق البيت . ان الضوء في هذه المنطقة
أكثر . (يصبح مرة أخرى) ادوار ! ادوار !

الصدى : ا . . دو . . ار . . وار . .

يرانجيه : لا يستطيع الناظر أن يرى هل هو آت أم لا .
لعله قريب جدا . هيا . (وهو يستأنف سيره في كثير من
الحوادث) لا يبدو ذلك . ولكنني قد قطعت مرحلة كبيرة . .
بلى ، بلى . . لا يمكن اتكار هذا . . انا كائن لا أتقدم ، ولكنني
أتقدم . . أتقدم . . توجد الحقول المحروثة الى يميني ،
وهنا ، الشارع المقفر . . لم تعد نخشى انسداد المرور ، على
الأقل ، ويستطيع السائر أن يتقدم ! (يضحك . الصدى
يرجع الضحكة بغير وضوح . . يرانجيه يدير رأسه ،
مرتاعا) ما هذا ؟ . . انه الصدى . . (يستأنف سيره)

ألى الثوراء) أين البيت ؟ عسى أن أجد الطريق ! انه من هنا !
(يستدير باندفاع ، مرة أخرى ، فيرى ، فجأة ، بجواره ،
أمامه ، السفاح) أه !

(طبعاً ، ان يتغير النظر . وعلى أى حال ، لا يكاد
الآن يوجد شيء من ((الديكور)) . لا يوجد سوى جدار ،
ومقعد . وخلاء السهل . ضوء خافت منتشر في الأفق .
الكشافات تسلط على الشخصين نوراً كالخا ، وأما
الباقي فيشمله الظلام .)

السفاح (ضحكة صفراء ، انه قصير القامة جداً ، نابت
اللحية ، رهيف البنية ، على رأسه قبعة مهزقة ، ويرتدى
معطفاً بالياً من ((الجبردين)) ، وهو أعور ، ويشبعت من
عينه الوحيدة بريق كبريق الفولاذ . وجهه لا يتحرك ، وكأنه
جامد ، حذاء قديم متآكل الأطراف يظهر أصابع قدميه .
عند ظهوره ، الذى ينم عنه ضحكه ، ينبغي أن يوجد واقفاً
على مقعد - مثلاً - أو على حافة جدار ، ثم ينزل من مكانه
بهدوء - لا تكاد تقطعه الا ضحكاته ، ويقترب من بيرانجيه .
وفي هذه اللحظة خاصة يتبين الناظر قصر قامته .)
بيرانجيه : انه هو ، انه القاتل (الى القاتل) اذن ، فهذا
أنت !

السفاح : (لا يسكاد يرسل ضحكته الصفراء . بيرانجيه
ينظر حوله ، في قلق)

بيرانجيه : لأشئ سوى السهل المظلم ، يمتد حولنا . .
لا حاجة بك لأن تقول لى ذلك ، فأنا أراه كما تراه . (ينظر
ناحية المحافظة ، في الأفق البعيد)

السفاح : (لا يكاد يرسل ضحكته الصفراء)
بيرانجيه : أهى بعيدة جداً ، المحافظة ؟ هذا ما قلته
الآن ؟ أنا عارف . (ضحكة صفراء من السفاح) أم ذاك أنا

السدى تكلمت ؟ (ضحكة صفراء من السفاح) انك تسخر منى ! انى انادى الشرطة ، للقبض عليك . (ضحكة صفراء من السفاح) تقول ان هذا لا يجدى ، انهم لن يسمعونى من هنا ؟

(ينزل السفاح من فوق المقعد أو من حافة الجدار ، فى عدم اكترات رهيب ، وهو يضحك من بيرانجيه ضحكة صفراء غير واضحة ، ويداه فى جيبه .)
 بيرانجيه (على حدة) : تها لأولئك المساكين القدرين ، لقد تعمدوا أن يتركونى وحدى معه . يريدون أن يفهموا الناس أن المسألة مسألة ثار شخصى . (الى السفاح ، وهو يصيح تقريبا) لماذا ؟ قل لى لماذا ؟! (السفاح يطلق ضحكته الصفراء ، ولا يكاد يهز كتفيه استخفافا ، انه على مقربة جدا من بيرانجيه ، ينبغي أن يظهر امتياز بيرانجيه على السفاح - التزم تقريبا - لا بطول القامة فخسب ، بل بشدة العنفوان أيضا . تصدر عن بيرانجيه ضحكة عصبية)
 أوه ، انما أنت رهيف البنية جدا ، أرهف من سائر المجرمين ، يا صاحبى المسكين ! انك لا تخيفنى ! انظر الى ، انظر كم انا أقوى منك . باصبع واحدة ، باصبع واحدة ، أستطيع أن أطويك فى جيبى . هل فهمتنى ؟ (نفس الضحكة الصفراء من السفاح) انك - لا - تخي - فنى ! (ضحكة السفاح) فى امكانى أن أسحقك مثل دود الأرض . ولكنى لن أفعل هذا . أنا أريد أن أفهم . أجب الآن عن أسئلتى . انك انسان ، رغم كل شىء . . وربما كانت لديك أسباب . عليك أن تشرح لى ، والا فأنا لا أعرف ما السدى . . قل لى الآن لماذا . . أجب !

(السفاح يضحك ضحكة صفراء ، ولا يسكاد يهز كتفيه استخفافا . ينبغي أن يكون بيرانجيه مؤثرا

وساذجا ، أى محسلا لبعض السخرية ، وكل تمثيله
يجب أن يبدو فى آن واحد مضحكا وصادقا ، تأفها
ومؤثرا . أنه يتحدث ببلاغة ينبغي أن تبرز ما يعرضه
من تلام معاد ، عقيم ومبتذل .)

بيرانجيه : ان شخصا يفعل ما أنت تفعله ، ربما يفعله
لأنه . . اسمع . . انك حلت دون سعادتي ، ودون سعادة
الكثيرين . . هذا الحى من المدينة ، هذا الحى المنير الساطع ،
الذى أوشك أن يصبح مصدر اشعاع فى الدنيا كلها . . لو
أن فى نفسك بقية من أى شعور نحو وطنك . . فان هذا
كان خليقا بأن ينير نفسك بأشعته ، وكان خليقا بأن يؤثر فى
عواطفك أنت أيضا مع الكثيرين من الآخرين ، وكان خليقا
بأن يجعلك سعيدا أنت نفسك . . كان عليك أن تنتظر ،
فالمسألة لم تكن تعدو مسألة صبر . . والصبر جميل ، وعدم
الصبر هو الذى يفسد كل شئ . . نعم ، كان فى وسعك أن
تصبح سعيدا ، كان فى وسع السعادة أن تبلغك ، كان فى
وسعها أن تتسع ، ربما كنت لا تعلم ذلك ، ربما كنت لاتعتقد
ذلك . . وفى ذلك كنت مخطئا . . فان سعادتك الخاصة هى
التي أنت حطمتها بتحطيم سعادتي وسعادة الآخرين جميعا .
.. (ضحكة صفراء خفيفة من السفاح .) انك لا تؤمن طبعاً
بالسعادة . أتؤمن بأن السعادة مستحيلة فى هذا العالم ؟ انما
أنت تريد أن تحطم العالم لأنك ترى أن العالم مقضى عليه
بالشقاء . البس كذلك ؟ أو ليس كذلك ؟ أجب !! (ضحكة
صفراء من السفاح .) ربما لم يخطر لك لحظة واحدة أنك
على خطأ . أنت متأكد من أنك على صواب . وذلك تكبر
أحمق ، من جانبك . قبل أن تصدر على المسألة حكما نهائيا ،
دع على الأقل للآخرين أن يقوموا بتجاربهم . أنهم يحاولون
أن يحققوا ، بصورة عملية ، فنية ، هنا ، على هذه الارض

بعينها ، تلك السعادة : فلعلهم يفلحون ، من يدرياك ؟ وإذا لم يفلحوا ، سترى ذلك فيما بعد . (ضحكة صفراء من السفاح .) هل أنت من المتشائمين ؟ (ضحكة صفراء من السفاح .) هل أنت من العدميين ؟ (ضحكة صفراء من السفاح .) هل أنت من الفوضويين ؟ (ضحكة صفراء من السفاح .) ربما كنت لا تحب السعادة ، ربما كانت السعادة شبيها آخر بالنسبة اليك . قل لي ما هو تصورك للحياة ؟ وما هي فلسفتك ؟ ما هي حوافرك ؟ وأهدافك ؟ أجب !! (ضحكة صفراء من السفاح .) اسمعني : لقد أسأت الى شخصيا أكبر اساءة ، بتحطيم كل ما .. على كل حال ، لنتجاوز .. ولندع الحديث عن نفسي . ولكنك قتلت « داني » ! فما ذنبها ؟ « داني » ؟ لقد كانت انسانا رقيقا ، لها بعض العيوب بلا شك ، فهي ربما كانت تميل الى الفضب ، ويستخفها شيء من الترق ، ولكن قلبها كان طيبا وجمالها كان يشفع لها عن كل ذنب ! لو عمدنا الى قتل كل الفتيات النزقات لأنهن نزقات ، أو كل الجيران لأنهم يحدثون ضجة ويمنعوننا من النوم ، أو أى واحد من الناس لأنه يخالفنا فى الراى ، لكان عملا غبيا ، اليس كذلك ؟ وهذا بعينه ما أنت نفعله ! اليس كذلك ؟ اليس كذلك ؟! (ضحكة صفراء من السفاح .) دعنا من الحديث عن « داني » ، فلقد كانت خطيبتى ، وقد تعترض على هنا أيضا بأنها مسألة شخصية ، ولكن هلاقتلى .. ماذا فعل لك ضابط سلاح المهندسين ، ضابط أركان الجرب ؟ (ضحكة صفراء من السفاح .) مفهوم .. مفهوم : هناك من يكرهون الزى العسكرى ، ويرون فيه — بحق أو بغير حق — رمز السلطة المستفلة ، والطفيان ، والحرب التى تدمر الحضارات . حسنا . دعنا من إثارة هذه المشكلة التى قد تؤدى بنا الى أبعد مما نقصد ، ولكن المرأة (ضحكة صفراء من القاتل .) .. انك لتعرف عن أريد أن اتحدث ، تلك

المرأة ذات الشعر الأحمر ماذا فعلت لك ؟ ماهى أسباب حقدك عليها ؟ أجب ! (ضحكة صفراء من القاتل .) فلنفرض انك تكره النساء : لأنك ربما كنت موضع خيانتهم ، ولم يحببوك لأنك . . أنت على كل حال غير جميل الشكل . . وهذا ظلم ، فى الواقع ، ولكن الحياة ليست مقصورة على الحياة الجنسية ، تجاوز تلك الضغينة . . (ضحكة صفراء من القاتل .) وأما الطفل ، الطفل ، فماذا فعل لك ؟ ان الأطفال لا يذنبون فى شىء ! اليس كذلك ؟ انك نعرف عن اريد أن اتحدث : عن الصغير الذى ألقته فى الحوض مع المرأة والضابط ، ذلك الولد المسكين . . ان الأطفال منطام آمالنا ، فلا ينبغى التعرض لأى طفل ، ذلك هو الرأى العام ! (ضحكة صفراء من القاتل .) ربما كنت ترى ان الجنس البشرى فاسد من أساسه . أجب ! انك تريد أن تعاقب الجنس البشرى حتى فى شخص الطفل ، فى أبعد عناصره من الفساد . . يمكننا أن نناقش هذا الموضوع مناقشة علنية ، تناظرية ، لو شئت ، انى أقترح عليك ذلك ! (القاتل يضحك ضحكة صفراء ، ويهز كتفيه .) أنت ربما تقتل كل هؤلاء الناس رفقا بهم ! لكى تمنعهم من أن يتعذبوا ! فأنت تعتبر أن الحياة مجرد عذاب ! لعلك تريد أن تشفى الناس من وسواس الموت ؟ فأنت ترى - كما رأى كثيرون غيرك من قبل - أن الانسان حيوان مريض ، وأنه سىظل دائما حيوانا مريضا ، برغم جميع مظاهر التقدم الاجتماعى ، والفنى أو العلمى ، وتريد أن تعمم بين الناس فيما يبدو نوعا من الموت بلا ألم ؟ انما ذلك خطأ ، ذلك خطأ . أجب ! (ضحكة صفراء من القاتل .) بللى ، فعلى كل حال ، ليست للحياة قيمة تذكر ، واذا قصر الأجل ، قصر أيضا عذاب الانسانية ! وما ضرك لو طال عذاب الناس أو قصر ، أربعين سنة ،

ثلاثين سنة ، أو عشر سنين ؟ دع الناس يتعذبوا ان شاءوا .
دعهم يتعذبوا ما طاب لهم العذاب . . وبأى حال ، وسوف
ينقضى ذلك ، فما هى الا بضع سنين ثم تكون لهم حياة
الخلود التى لا يتعذبون فيها . دعهم اذن يموتوا من تلقاء
نفسهم ، فان تلبث جميع المشاكل أن تنتهى الى العدم . كل
شئ سيخمد ، كل شئ سينتهى من تلقاء نفسه . لا تتعجل
الأحداث : فهذا لا ينفع . (ضحكة صفراء من القاتل .)
ولكنك تضع نفسك فى وضع غير معقول ! ان كنت تظن انك
تحسن الى الانسانية بتحطيمها ، فانك تخطيء ، وهذه
حماقة ! . . ألا تخشى أن يسخر منك الناس ؟ قل ! اجب
عن هذا ! (ضحكة صفراء من السفاح ، وضحكة عصبية
مجاهلة من بيرانييه . ثم ، بعد أن يراقب السفاح
بضع لحظات) : أرى أن ذلك لا يهمك . انى لم المس المشكلة
الحقيقية ، لم المس ما يحرك أعماق نفسك . أجبنى : هل
تكره الجنس البشرى ؟ (ضحكة صفراء من السفاح .)
ولماذا ؟ أجب ! (ضحكة صفراء من السفاح .) فى هذه الحال ،
لا تتعقب الناس بفضبك ، فهذا شئ لا يجدى ، شئ يعود
عليك أنت بالعذاب ، فالبفضاء تؤذى صاحبها ، ومن الأفضل
أن تحتقرهم ، نعم ، انى أسمح لك بأن تحتقرهم ، اعتزلهم ،
عش فى الجبال ، اعمل راعيا ، وهكذا تستقيم لك الحياة بين
الخراف ، والكلاب (ضحكة صفراء من السفاح .) انك لا
تحب الدواب كذلك ؟ لا تحب أى كائن حى ؟ حتى النباتات ؟ .
فما قولك فى الأحجار ، والشمس ، والنجوم ، والسماء
الزرقاء ؟ (السفاح يضحك ضحكته الصفراء ، ويهز كتفيه .)
لا . لا ، انى غبى . لا يمكن أن يكره الانسان كل شئ ! هل
تعتقد أن المجتمع فاسد ، وأن من المحال اصلاحه ، وأن
الشوار مففلون ؟ (السفاح يهز كتفيه) هلا أجبتنى ؟ أجبنى !

آاه ! لا سبيل الى الكلام معك ! اسمع : انى على وشك الغضب ، فخذ حذرک ! لا .. لا .. لا يجب أن أفقد هدوئى ، وانما واجبى أن أفهمك . لا تنظر الى هكذا بعينك الفولاذية : سوف أكلّمك بصراحة . منذ قليل ، كانت عندي نية الثأر ، لنفسي وللآخرين . كنت أريد أن يقبضوا عليك ، وأن يشنقوك . ولكن الانتقام غباء . والقصاص ليس حلاً . كنت حائقا عليك . كنت أستنزل عليك الموت .. فلما رأيتك .. ليس من أول وهلة ، ليس في اللحظة ذاتها ، لا ، بل بعد انقضاء بضع لحظات ، قد .. ومن المضحك أن أقول هذا ، فأنت لن تصدقنى ، ومع ذلك فلا بد أن أفاتحك .. نعم .. أنك انسان ، كلانا من نفس الجنس ، وعلينا أن نتفاهم ، هذا واجبنا .. بعد انقضاء بضع لحظات ، أحسست نحيوك بالحب ، أو بما يشبه الحب .. لأننا اخوة ، .. وإذا كرهتكم فأنما كره نفسي .. (ضحكة صفراء من السفاخ .) لا تضحك ! فانه شيء موجود ، هذا التضامن ، هذا الاخاء الانساني ، أنا مقتنع بذلك ، لا تضحك .. (يضحك السفاخ ضحكته الصفراء ، ويهز كتفيه .) .. آه .. انما أنت مجرد .. انما أنت مجرد .. اسمعنى جديا : اننا اقوى الناس ، وانا اقوى منك بدنيا ، أيها العاجز الشقي ، أيها المخلوق الضعيف ! وفوق ذلك ، فالقانون فى صفى .. والشرطة ! (ضحكة صفراء من السفاخ .) العدالة ، وجميع قوات النظام ! (السفاخ يعلق نفس التعليق .) يجب على ، يجب على ، ألا أستسلم للغضب .. أعذرني .. (نفس التعليق من جانب السفاخ . يرانجييه يجفف جبهته .) أنك مسيطر على نفسك خيرا مما أسيطر على نفسي .. ولكنى أستعيد هدوئى ، أستعيد هدوئى .. لا تخف .. على أى حال ، أنت لا يبدو عليك الخوف .. أعنى ، لا تحقق على ..

غير أنك لا تحقد على كذلك .. لا % ليس هذا هو القصد ،
لقد ضللت عن القصد .. آه ، نعم ، نعم .. أنت ربنا لا
تعرف هذا : (بصوت مرتفع جدا .) ان المسيح قد مات
على الصليب من أجلك ، تعذب من أجلك ، انه يحبك !!! لا بد
أنك في حاجة الى من يحبك % فأنت تظن أنك غير محبوب !
(نفس التعليق من السفاح .) لك منى كلمة شرف بأن
القديسين يسكبون الدموع من أجلك ، أنهارا وبحارا من
الدموع . انها تفمرك من هامة رأسك الى اخمص قدميك ،
ومحال الا تحس بشيء من البلل ! (ضحكة صفراء من
السفاح .) دعه عنك ضحكتك الصفراء . انك لا تصدقنى ،
انك لا تصدقنى ! .. اذا كان مسيح واحد لا يكفيك ، فانى
أتعهد لك بأن أصعد على طرق الآلام - من أجلك ليس
الا - وأن أدفع الى الصليب حبائك كثنائب من المخلصين ! ..
لا بد انهم موجودون % سوف أجسد بعضهم ! هل تريد ؟
(نفس التعليق من السفاح .) هل تريد أن تهلك العالم
كله لكى تخلص ، لكى تنعم بلحظة من السعادة ، لكى تتمتع
بإبتسامة ؟ هذا أيضا ، من الممكن عمله ! اننى شخصيا على
استعداد لأن أقبلك ، وأن أكون واحدا ممن يحملون اليك
العزاء . سوف أضمد جراحك ، لأنك مصاب بجراح ، الست
كذلك ؟ لقد تأملت % أليس كذلك ؟ هل ما زلت تتألم ؟ انى
أشفق عليك ، اعرف ذلك . هل تريد أن أغسل قدميك ؟
هل تريد حذاء جديدا بعد ذلك ، انك تنفر من العاطفية
الساذجة . نعم ، أرى هذا % لا يمكن التأثير فيك عن طريق
العواطف . انك لا تريد أن تقع في شرك الحنان ! تخاف أن
تخدع . ان مزاجك ومزاجى على طرفي نقيض . صحيح أن
الناس جميعا اخوة ، ولكنهم أشباه لا يتشابهون دائما . ومع
ذلك ، فهناك نقطة مشتركة . ينبغي أن توجد نقطة مشتركة %

لغة مشتركة . . . أى لغة ؟ أيها ؟ (نفس التعليق من السفاح .)
 آه ، اننى أعلم الآن ، أعلم . . . أترى ؟ اننى خيرا أفعل اذ لا
 أستبيح منك . فنحن نستطيع أن نتكلم بلفه العقل . أنها اللفه
 المناسبة . أنت من أهل العلم ، ألسنت كذلك ؟ من أهل
 العصر الحديث ، اليس كذلك ؟ لقد خمنت هذا . . . أنت
 انسان يفكر بالعقل . انك لا تعترف بالحب ، وتشك في
 الرحمة ، فهي لا تدخل في تقديراتكم ، وتعتقدون أن الرحمة
 خداع ! اليس كذلك ؟ اليس كذلك ؟ (ضحكة صفراء
 من السفاح .) انى لا أوجه اليك اتهاما . انى لا أزدريك
 لهذا السبب . فعلى أى حال ، ذلك رأى من الآراء يمكن
 الدفاع عنه ، ولكن ، بينى وبينك ، انظر : ما الفائدة التى
 تعود عليك من كل هذا ؟ ما هى مصلحتك ؟ ما المنفعة التى
 تحصل عليها أنت ؟ عليك بقتل الناس - اذا شئت - ولكن
 قتلأ فكريا . . . دعهم يعيشوا بدينا (السفاح يهز كتفيه ،
 ويرسل ضحكته الصفراء .) آه ، نعم ، قد يبدو هنا تناقض
 مضحك ، فى نظرك . فقد ترى هذا جنوحا نحو المثالية ،
 وأنت من انصار فلسفة عملية ، وأنت رجل أفعال لا أقوال .
 عظيم ! فالى أين يمكن أن يقودك هذا الفعل ؟ ما هو هدفك
 الأخير ؟ هل ساءلت نفسك عن موضوع الفايات والمقاصد ؟
 (يضحك السفاح ضحكته الصفراء ، ويهز كتفيه هزة أشد
 مما سبق .) اذن ، فهو فعل - بكل بساطة - عقيم ،
 سلبي ، متهك . انه لا يجلب لك الا الهموم . . . وحتى لو
 أغمضت الشرطة عينيها - وهو ما يحدث فى معظم الحالات -
 ما الفائدة من كل تلك الجهود ؟ والمتاعب ، وخطط التنفيذ
 المعقدة ، وليالى التربص المنهكة ؟ . . . احتقار البشر ؟ ربما
 كان هذا شيئا لا يهرك . انك تحصد خوفهم ، صحيح ،
 وهذا شيء يذكر . طيب ، ولكن ماذا يفل عليك خوفهم ؟
 انه ليس برأسمال . وأنت لا تعنى باستغلاله . اجب :

(ضحكة صفراء من السفاح .) انما انت فقير ، هل تريد مالا ؟ انى أستطيع أن أوفر لك عملا ، فى وظيفة محترمة . . لا . لست فقيرا ؟ فهل أنت غنى ؟ . . آاه . . حسنا ، لا أنت بالفنى ولا أنت بالفقير ! . . (ضحكة صفراء من السفاح .) . . فهمت ، أنت لا تريد أن نشغل ! فدع عنك الشغل . سوف أتكفل بك ، أو ، بالآخرى — لأننى شخصا فقير — سوف أتدبر الأمر بحيث نساهم فى النفقات ، فان لى أصدقاء ، وسأخاطب المهندس فى هذا الشأن . وسوف تعيش مطمئنا . سوف نذهب الى القهوة ، الى الحانة ، وأعرفك ببنات طرقات . . ان الجريمة لا تفيد صاحبها . فأقلع عن الجرائم ، تنل وتصاحب . معقول ما أقوله لك ؟ (ضحكة صفراء من السفاح .) هل تقبل ؟

أجب ! هل تعرف لغة البلد ؟ . . انصت ، فسأعرف لك اعترافا يمزق القلوب . انى ، شخصا ، فى كثير من الأحيان أشك فى كل شيء . لا تفش هذا السر لأحد . أشك فى فائدة الحياة ، فى معنى الحياة ، فى قيمى ، فى كل المذاهب الجدلية . لم أعد أدري بماذا أستمسك ، فربما لا توجد حقيقة ولا توجد رحمة . ولكن ، فى هذه الحال ، كن فيلسوفا حكيما : فإذا كان الكل باطلا ، اذا كانت الرحمة باطلا ، فإن الجريمة أيضا باطل . . وتكون غيبا لو أنك — وانت تعلم أن كل شيء مجرد تراب — او أنك جعلت للجريمة قيمة ، لأنك بهذا تجعل للحياة قيمة . . وبهذا تأخذ الدنيا مأخذ الجد . . وإذا بك هكذا تتخبط فى التناقض مع نفسك . (ضحكة عصبية من بير النجيه .) ما رأيك ؟ كلام واضح ، منطقى ، ها أنا ذا قد غلبتك . وفى هذه الحال ، أنت شخص تافه ، ضعيف العقل ، مسكين . ومنطقيا يحق للناس أن يهزأوا بك ؟ هل تريد أن يهزأ بك الناس ؟ طبعاً لا . طبعاً لديك شعور بالكرامة ، واحساس بقدر ذكائك . وليس يضايق

الإنسان شيء مثل الحماسة . أنها أشد توريطا للإنسان من
 الإجرام ، حتى الجنون له هالة تحيط به . وأما أن تكون
 أحرق أبلة ، من يستطيع أن يقبل هذا ؟ (ضحكة صفراء
 من السفاح .) سوف يشير إليك كل الناس بأصابعهم ،
 قائلين : ها ! ها ! ها ! (ضحكة صفراء من السفاح ، يظهر
 تفهقر بيرانجيه بوضوح متزايد .) ها هو ذا العبيط ، ها
 هو ذا العبيط ! ها ! ها ! ها ! (ضحكة صفراء من السفاح .)
 انه يقتل الناس ، انه يتعب نفسه ، ها ! ها ! ها ! ولا يستفيد
 من ذلك ، ولا ينال أى شيء . . ها ! ها ! هل تريد أن يقول
 بشيء ما ؟ « يؤمن » بالجريمة ؟ العبيط . ها ! ها !
 (ضحكة بيرانجيه تجدد فجأة .) أجب ! هذا ما سيقوله
 الناس هذا ؟ أن يعتبروك مغفلا ، مثاليا ، ملهما « يؤمن »
 الناس ، لو بقى من الناس أحد ليقول . . (بيرانجيه يلوى
 يديه ، وإبصارهما لا ييتوسل ، وإدراكهما أمام السفاح .)
 لست أدري الآن ماذا أقول لك . لاشك أننا أخطأنا مرارا
 في حقك . (ضحكة صفراء من السفاح .) وربما لم نخطئ
 في حقك أبدا . (نانس الضحكة .) لا أدري . قد يكون
 الذنب ذنبى ، وقد يكون ذنبك ، وقد لا يكون ذنبى أو ذنبك .
 قد لا يوجد ذنب على الإطلاق . ان الذى نفعله قد يكون
 شرا ، وقد يكون خيرا ، وقد لا يكون خيرا أو شرا . لست
 أدري كيف أحكم . من المحتمل ألا تكون لحبابة الجنس
 الشرى أية أهمية ، ولا لفنائه بالتالى . . وربما لم يكن
 للكون بأكمله أية فائدة ، فأنت على حق عندما تبدأ تنسقه ،
 أو أن تقرضه على الأقل ، مخلوقا بعد مخلوق ، قطعة بعد
 قطعة . . وربما يجب عليك ألا تفعل ذلك . أنا لست أدري
 الآن شيئا ، أنا لست أدري الآن شيئا . ربما كنت مخطئا ،
 وربما ليس للخطأ وجود ، وربما كنا نحن المخطئين لأننا

نريد الوجود .. ابن . ماهو رأيك ؟ أنا لا أدري ، أنا لا
أدري . (ضحكة صفراء من السفاح .) ان الوجود - في
نظر بعضهم - شذوذ . (ضحكة صفراء من السفاح .)
أو ليست الأسباب التي تذكرها قناعا يخفي الأسباب
الحقيقية التي تحجبها أنت عن نفسك دون وعي ؟ من
يدري ! فلنمسح عن اللوح كل ما نقش عليه . فلننس ما
سبق أن أحدثته من شقاء .. (ضحكة صفراء من
السفاح .) هل توافق ؟ أنك تقتل بلا سبب ، وفي هذه
الحال أدعوك ، بلا سبب أتوسل اليك ، نعم ، توقف عن
ذلك .. ليس لهذا سبب ، طبعاً ، ولكن في الواقع ما دام
قتل الناس أو عدم قتلهم بلا سبب ، فتوقف . أنك تقتل
ن أجل لا شيء ، فأبق على الناس من أجل لا شيء . دع
لناس آمنين ، يعيشوا في غباء ، دعهم جميعاً ، حتى رجال
الشرطة ، وحتى .. عدنى بذلك ، توقف ولو لمدة شهر ..
انى أتضرع اليك ، لمدة أسبوع ، ثمان وأربعين ساعة ، لكي
يتنفس الناس .. أنك ترضى ، أليس كذلك ؟ .. (السفاح
لا يكاد يضحك ضحكته المهددة ، وإنما يخرج من جيبه ، في
بطء شديد ، سكيناً ذات تعبل كبير لامع ، ويصت بها .)
وغد ! خسيس ! مففل سفاح ! أنك أقبح من ضفدعة
سامة ! وأضرى من نمر ، وأغبى من حمار .. (يضحك
السفاح ضحكة صفراء خفيفة) لقد ركبت .. نعم ، لا
لاستعطفك . (نفس الحركة من السفاح) بل لكي أحسن
التصويب اليك .. سأصرعك ، وبعد ذلك سأدوسك بقدمي ،
سأسحقك ، يا منتن ، يا جيفة ابن آوى ! (يخرج يراجه
من جيبه مستسعين ، ويصويها في فم السفاح ، الذي لا
يتحرك قبل أندهاله .) سأقتلك ، ستكفر عن سيئاتك ،
وسأواصل إطلاق الرصاص عليك ، ثم سأشنقك ، وأقطعك
أرباً أرباً ، وألقى رفاتك في جهنم مع النفايات التي جيلت

منها ، يا قىء كلب الشيطان الأجرب ، أيها المجرم الأبله . .
 (السفاح يواصل اللعب بنصل سكينه ، تصدر عنه أضحكة
 صفراء خفيفة ، وهو جامد لا يكاد يهز كتفيه .) لا تنظر
 الى هكذا ، انى لا أختباك ، يا عار الخليفة . . (بيرانجييه
 يصوب مسدسه نحو السفاح القائم على بعد خطوتين منه
 لا يتحرك وانده يرفع وثيلا سكينه .) أوه . . ما أضعف
 قوتى ازاء تصميمك البارد ، ازاء قسوتك التى لا نرحم ! . .
 وماذا تستطيع طلقات الرصاص نفسها ضد طاقة عنادك
 اللانهائية ؟ (وثبة .) ولكنى سأناك . . (ثم من جديد ، أمام
 السفاح الذى يشاهر سكينه ، ويرسل ضحكته الصفراء
 دون أن يتحرك ، يخفض بيرانجييه ببطء مسدسه
 العتيقين ، ويضعهما على الأرض ، ويحنى رأسه ، ثم يردد
 وهو راكع ، مطأطئ الرأس ، مرتضى الذراعين ، فى
 اضطراب :) يا الهى ، لا يمكن أن يفعل المرء أى شئ ! . .
 وماذا يستطيع المرء أن يفعل ؟ . . ماذا يستطيع المرء أن
 يفعل ؟ . .

(ستار)

سلسلة « مطبوعات كتابي »

الترجمة الكاملة الأمانة لشوامخ الكتب العالية

قدمت لقراء العربية في أعدادها التي صدرت حتى الآن
— وعددها سبعون كتاباً ، وكتابان من الحجم الكبير ، خارج
السلسلة — الكتب التالية ، (وتستطيع أن تستكمل ما ينقص
مجموعتك منها من إدارة كتابي بالقاهرة : عمارة الجندول ،
١٤ شارع ٢٦ يوليو ، شقة ١٤ — تليفون ٥٩٥٥٦ ،
٤٦٤٧٥) :

من شوامخ الأدب الانجليزي

رقم العدد	عنوان الكتاب	اسم المؤلف
١	قصة مدينتين	تشارلز ديكنز
٢	ذات الثوب الأبيض	ويلكي كولينز
٤	الخاطئة (القناع الملون)	سومرست موم
١٥ ، ١٦ ، ١٧	جين إير (٣ أجزاء)	شارلوت برونتي
٢١	فرنسا الجريحة على ضفاف النيل	ادوين جون ديفيز
٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦	بيللا دونا (٣ أجزاء)	روبرت هتشمنز
٣٩ ، ٤٠	المسبحة (جزءان)	فلورنس باركلي

أرواح هائمة	سومرست موم	٤٤
القلعة (٣ أجزاء)	دكتور أ.ج. كروني	٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧
مرتفعات ويدرنج	اميلي برونتي	٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

من شوامخ الأدب الفرنسي

حياة امرأة	موباسان	٥ ، ٦
أوديب	اندريه جيد	٨
مدام بوفاري	فلوير	٩ ، ١٠
الابن الضال	هنري بوردو	٢٢
اعترافات جان جاك روسو (٥ أجزاء)	روسو	٢٨ - ٣٢
ليالى بلزاك (قصص هاجنة)	بلزاك	٣٤
سفينة المذات	موريس دينكوبرا	٤١
هل تحبين برامس	فرانسواز ساجان	٤٨
مدموازيل جوفر	مارسيل بريفو	٥٢ ، ٥٣
العدراء المفتونة	هنري باتاي	٥٤
السحب الرائعة	فرانسواز ساجان	٦٣
الآلهة عطشى	اناتول فرانس	٦٤ ، ٦٥

من شواخ الأدب الأمريكي

الخالدون	٣
دیل کارنیجی	
فاتنة الرجال	١٨
مارجوری کورین	
الثار للوطن (غروب القمر)	٢٠
جون شنايتباک	
أسرار الجاسوسية	٢٣
بیرنارد نیومان	
لوکریشیا بورجیا	٥٩
جوان هاسلپت	
کلهم ابنائی (مسرحیتان)	٦٠
ارثر میلر	
فاتنة الكونفو	٦٩
تشارلس میرسر	

من شواخ الأدب الروسي

رجال ونساء	١٩
مکسیم جورکی	
حياة بوشكين	٢٧
دم وخمر	٤٢
تولستوی	
مياه الربيع (جزءان)	٥٥ ، ٥٦
ترجنيف	
ضحكة في الظلام	٥٧
نابوکوف	
ماريا ايفانوفنا (ابنة الضابط)	٥٨
بوشكين	
نيتوتشكا (جزءان)	٦١ ، ٦٢
دستويفسکی	
قصص من تولستوی	٦٦
تولستوی	

من شواخ الآداب الأخرى

من الأدب الإيطالى :

٧	الخطيئة الأولى	ألبرتو مورافيا
١٣	ديكاميرون (ألف ليلة وليلة الايطالية)	بوكاتشيو
٣٨	قصص من روما	ألبرتو مورافيا

من الأدب اليونانى :

٨	أوديب (مسرحيتان)	سوفوكليس
٣٥ - ٣٧	اللياذة (٣ أجزاء)	هوميروس

من الأدب النمساوى :

١١	عاشقات فى الخريف	ستيفان زفايج
----	------------------	--------------

من الأدب الألمانى :

٦٧	مارى ستيوارت	فريدريك شيلنر
----	--------------	---------------

من الأدب الهندى :

١٢	قلوب ضالة	تاجور
٦٨	ألف ليلة وليلة الهندية	

من الأدب الفنلندى :

١٤	الظما للحب	ميكا والنارى
----	------------	--------------

من الأدب الصيني :

٣٣ قصص من الصين لوشون ، وآخرون

من الأدب التركي :

٤٣ تحت ظلال الليلا مبرورة سامي

من الأدب الروماني :

٧٠ قاتل بلا اجر اوجين يونسكو

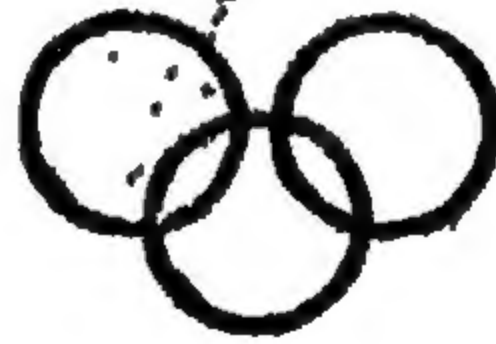
خارج السلسلة

دكتور جيفاجو (انترجمة الكاملة في جزئين) باستر نالك



الجمعية النعائونية للبترول

يخدم في خدمة الاقتصاد القومي



في جميع محطات الجمعية النعائونية للبترول



نحن نقرأ لك كل شهر عشرات الكتب
العالمية، القديمة والحديثة، كي ننتقي
لك كتاباً من أروعها نقدمه إليك في
منصف كل شهر
ترجمة دقيقة
وإن "مطبوع
ظفرت برضاك
فما هي تحفها
اقرأ التف



مطبوعات كتابي
يصدرها: هامي مراد

14
29

Bibliotheca Alexandrina



0476050



الترجمة الك
لشوامخ الكتب العالمية